## مقدمتي:

السلام عليكم كلما طاب السلام، و كلما حضر و غاب، و ان السلام لنفس عميق، و اسم من اسماء الله العظيم المنان، سلام يطمح الانسان لان يبلغه، فلا يرتجيه الا بالحرب و العنف، و لا يجده الا بالالم، و انا ابحث عن السلام في اخبار الناس، تتراشق الكلمات في الافواه و تتغنى العبارات بقصص مختلفة في شتى المواضيع، حب و تاريخ و دين و دنيا، الكل يسير ولكن هناك من لديه معنى لسيره و هناك من هو يسير لاجل مسمى فقط، و لهذا اخترت عنوان هذا الكتاب باسم صمت الحياة، و لاني رايت فيه حقيقة البؤس و حقيقة الشقاء، فقد لمعت الالم فيه بانواع الملمعات و حاربتها بكل تفاؤل حتى تزول، فصمت الحياة هي قصص و حكايات بعضها صحيح و الاخر وهم لكن موجود على ارض الواقع ولعل الحقيقة تكون مخلوطة ببعض الوهم حتى لا نكشف بعض الاسرار التي لا يجب ان تكشف لكل الناس فنقص ما يجب ان يعرفوه، و نغض الطرف عن ما لا يجب ان يعرفه الاخرون، و ان من المواضيع التي اسرتني و جعلتني اشق صدري ارقب ما فيه، هو الاحتلال الغاشم لارض الجزائر و الذي عاث فساد في ارضنا و خرب الدور، و قتل النفوس، وزج الكهول و النساء في السجون، احتلال اقل ما يقال عنه انه مجرم، و لكن لن يفيد السب و الشتم، و اللذع و القذع و لن تفي الكلمات المراد و لن تحرك الا الالم فينا و اخذ الثأر، و لهذا يجب علينا ان نكون اوفياء لشهداء الوطن و نحرر الجزائر من تبعيتها و نعتني بانفسنا و لن نحتاج لمن يعتني بنا، عائلة الشيخ بلقاسم تبدأ هذه الحكاية المتخيلة و تروي قصة المجاهد المقدام الذي ارخص الحياة فداء للوطن، و لم يرد جزاء و لا شكورا بل كانت فرحته في ان يرى الاطفال في الاحياء يعيدون بامل و يلعبون بكل سرور.

ولما بدأت بقصة محتل غاشم انهيت كذلك بقصة فتاة تعايش الاحتلال و لكن في بلد اخر، بلد الكل فيه مسافر في أي لحظة، قصة مها، قصة الفتاة الفلسطينية التي تحب الوطن و تحاول جاهدة ان تكون الابنة البارة و المتعلمة الجادة، و بما تحمله كلمة فلسطين من معنى لنا نحن العرب و نحن الجزائريين فان القصص الوهمية انما هي نبع من ذاك الحب، لم نجد اليها موئلا فصرنا نتخيل الوضع، و نجول في ازقة الخليل و جنين و طولكرم و رام الله نصلي في الاقصى و نشاهد كنيسة القيامة جنبه، نعانق اهل غزة ونحييهم، انها فلسطين عزة من عز و مذلة المحتل.

**و قد توسدت في الكتاب حكايات عن عشاق هاموا في لوعات الحب و ناموا على خيوط العشق، ينسجون وله الكلمات و يعبرون بمختلف العبرات، دموع حب طاهر، و الم زكي نقي، لا يرجو الا يوما لقاء صفي، بعقد ميثاق عظيم، حكايات سمعتها و شهدتها، و الممت برسمها في هذا الكتاب حتى يعرف الناس ان الحب ليس ابدا جسدا له خوار، و انما هو العلاقة التي تجتمع بالمودة و الرحمة، لن يسمع من كان قلبه في غنا عن الطهارة، و لكن سيسمع من كان يريد في الحياة الدنيا الا خيرا.**

**و لعل قصة اليتيمة قصة كتبتها بكل حسرة، و رايت ما فيها من حسن صنيع القادر، و سلامة القدر، ان قصة اليتيمة ليست كما يبدو كلها اسى، و لكن الشدائد و الاحزان تصنع الرجال، تصنع الامهات و ربات البيوت، وذاك ما حدث لليتيمة،**

**و قد اقشعر بدني في ليلة من ما سيحدث في ليال قادمة في ظلمة اللحد و غطاء الكفن، من لقيا منكر و نكير، و أسئلتهما لذا كانت قصة الميت من الرواية و نسج في الحكاية، و الموت حق اعجز العلماء و صك افواه الملحدين، و بعد كل هذا لم انتهي من كل القصص و الروايات و اقد اختفت بعضها و ساوردها ان شاء الله في ما قدم من الكتب ان كان ذلك في ما سطر من قدري، و اخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين**

# عائلة الشيخ بلقاسم

---

في ضواحي مدينة الجزائر، حي بائس يعضه الفقر و الشقاء ,على جدرانه يترنم صوت الحزن والأسى , و على أبوابه يخدش صفحة السكون, مناديا في كل سور و على كل سرير يا من لا مواسي لكم انا أواسيكم يا من لا غني لهم أنا أغنيكم . وسط هذا الزخم كان الطفل بلقاسم ذو الخمس سنوات ,و الذي قد عم صياحه دروب العاصمة حين ولد , و صرخت رصاصته في وجه الفرنسيين حين كبر , لقد تربى في كنف الجهاد ضد العدو فكان أبوه شهيدا ,أما هو فقد استبسل في مواصلة الكفاح حتى استقلت الجزائر عن مريدتها , رغم الموت المحيط به آنذاك إلا أن موته سهم اخطأ هدفه . مرت السنوات و كأنها شهور و الشهور و كأنها أيام و الأيام تمر مر السحاب على بلقاسم.

تزوج بلقاسم فتاة قروية فقيرة , عرف عنها أنها كانت مطيعة لربها كثيرة الشكر له, و عاشا حياتهما و أنجبا خلالها ذرية تعينهم على مشاق الحياة, لقد رأى بلقاسم أم أبنائه السيدة نادية في سوق المدينة الأسبوعي لقد كان يوم الأربعاء, حين انفصلت عن أمها لتشتري لنفسها حاجة تخصها, رآها فتبعها إلى أمها, فلم يزل يتبعهما حتى وصلا إلى بيتهما.

حينئذ عاد إلى بيته و الأمر واضح بين عينيه, و في مساء اليوم التالي قرر الذهاب لخطبة من شغفته حبا, فتفنن في لباسه و تألق في هندامه و حمل الحلوى بيمينه, واتجه صوب بيت السيدة كريمة أم نادية, و ما هي إلا لحظات حتى وجد نفسه يدق باب بيتها. لقد كان متوترا و مضطربا حتى انه كان لا يسمع إلا خفقان قلبه, و كان قلبه يرجوه ألا يتحامق رغم انه يفعل الصواب.

فتحت السيدة كريمة جزء من الباب و راحت تستطلع بنصف عينها من وراءه، من يطرق الباب ؟ و من ذا الذي يأتينا الآن؟ بابتسامة خجولة و كلمات مرتعدة، يسلم بلقاسم على الحاجة من وراء الباب :" السلام عليكم يا الحجة أنا دلال خير جئت

أطلب يد ابنتكم على سنة الله و رسوله". بكل اندهاش و غرابة و توتر و اضطراب، تعيد الحجة كريمة اغلاق الباب في وجه بلقاسم، و تجري الى الداخل، نساء الجزائر يستحيين حتى من الجار فما بالك بجندي من الاستدمار،

فجأة !!! فتح الباب على مصراعيه و خرج شيخ ظاهر من وجهه أنه عانى كإخوانه الجزائريين، وبسقطات نور على هذا الوجه، يوجه سؤاله الى الفتى المغمور، التائه في غيابت الحب، و بنبرة الرجل الرشيد الشجاع الصنديد، وكأنه يقول: " نحن أمس طردنا فرنسا من الجزائر و لم نقبل أي غريب حتى من أبناء جلدتنا أان يمس بيتنا" لكن هذا الجزائري انه السي سليم يسأل بلقاسم بكل رحمة : " من أنت؟ وماذا تريد؟" . فبهت بلقاسم و تجمد في مكانه, وقد سرقت من لسانه كلمات التعبير عن ما يريد فتأتأ برهة و صمت، لكن السي سليم كان شابا في خضم أزمات الجزائر، فحاول أن يهدأ من روعه، و بلطافة رد عليه السلام بلا سلام من بلقاسم، هنالك فقط أحس بعودة الروح إلى جسده و كأن نفسه ضاقت و بدأ يحدث نفسه " رباه ما أتى بي إلى هنا؟ ماذا أفعل ؟ هل جننت؟" و لكنه رد على السي سليم : " يا سيدي جئتكم حتى أخطب ابنتكم على سنة الله و رسوله". تبسم أبو نادية و أدخله المنزل أجلسه و أحسن ضيافته , تبادلا أطراف الحديث فأحب أبو نادية بلقاسم و ارتاح له, و عرف بلقاسم انه وجد أبا له لا نسيبا . و بينما السي سليم يحدث بلقاسم حتى وصلا الى عقدة اللقاء، وطلب سي سليم من زوجته الحجة كريمة أن تسأل ابنتها بإيماءة منه، ففهمت الأمر و انصرفت إلى ابنتها التي ظلت في ركن من المطبخ، تنظر القرار الذي سيفصل في أمر حياتها، انها كمجلس الأمن يجتمع عشية يدرس قضية الجزائر، أثورة شعب هي ؟ أم ازمة فرنسية داخلية؟ لكن الأمر ها هنا يختلف فلا حصار و لا رشاش بل سؤال وجواب، فالزواج حرية، إنه أرقى ما يفكر فيه الانسان من كافة النواحي، بكل حياء و أنوثة نظرت نادية إلى أمها و تبسمت، احمر وجهها استحياء حتى من أن تجيب أمها، حينئذ قامت الأم تزغرد, فزاد خجل نادية , أما بلقاسم فتبسم محمر الوجه و الشيخ سليم يضحك و هو يطالب بلقاسم بحفظ ابنته فهي أمانة في عنقه، ظل بلقاسم طول أيام الأسبوع يجري و يحط و ينط و كأنه نملة لم تجد لنفسها مأوى , يبحث عن إمام و يبحث عن شهود، يوم الخميس الموعود, السي بلقاسم, الشيخ سليم, الإمام الشيخ سيد أحمد, و الشاهدان جاراه بن عمر و موح, اجتمعوا ليختموا الميثاق الغليظ بين بلقاسم و السيدة نادية، فحان موعد أسس الزواج و غنيمة الثقة بين أهل العروس و العريس، فردد السي سليم على مسامع الحضور شروطهم قائلا:" عن شروطنا يا ابني فانا نسألك أربعا، أولها أن تعمل و تجني مالك بعرق جبينك, و ثانيها أن تأوي نفسك في بيت، والثالث أن تسعد ابنتنا ما استطعت حتى تنقضي حياتكما أو حياة

أحدكما, والرابع, يا بني إني لا أراك إلا مثلنا أو أكثر منا و إن زينة الفتاة في حليها فزين عروسك بالذهب فان لم تجد فالفضة على ما تملك و لست مجبرا".

فانشرح صدر بلقاسم و أقسم على اسعاد ابنته ما حيي، وأنه سيعمل على أن يكون نعم الزوج والعشير، و أن يقضي لها حوائجها و لو بشق البحر، حينها تعالت ضحكات القوم و ألزموا بلقاسم على أن لا يشق على نفسه ما تستطيع و قرؤوا فاتحة الكتاب.

ثم انتقل الزوجان إلى بيتهما و صارت نادية جزء من بلقاسم, رحب بلقاسم بنادية على طريقته ممازحا فرحا ومسرورا يجانب الأسى ويشير على الحزن من على وجه صاحبته .

لكن نادية ظلت صامتة طول اليوم لم تهمس إلا ببضع كلمات حتى تكسر روتين الصمت بينها وبين زوجها, و ما إن حل المساء حتى لم تعد تستطيع صمودا في وجه الشوق و الغربة, فانذرفت من قلبها دمعات كسرت زجاج العيون لتتساقط حبات الدمع على خديها. نظر بلقاسم إلى نادية و هو يسائلها: ما يبكي الطير في قفصه ؟ أشتاق حرية ؟ أم به شوق لوكر في الشجر؟ و نادية تجيبه :" بل مشتاق الى الوكر في الشجر، حينها بعث بلقاسم روح الحب و المودة في قلبها بكلمات، تضمد الجراح، و تكسي العريان ثوب السلام، بحسرة وألم يتكلم بلقاسم، فيصد أحزان نادية بأحزان أقوى :"يا لسعادتك , لقد حضر والداك فرحك و عقدوا ارتباطك, ماذا عساي أقول أنا ؟ آه لو تحدث قلبي بما يطعنه ! لقد توفي والدي و لم أكد أصاحبهما, فإن أمي قد عميت مقلتاها من الدمع المسفوك على هذا البدن الذي أمامك اليوم, أما أبي فقد تجندت لأخلفه في كفاحه بعد أن صار كهلا لا يقوى على مجابهة العدو, أتعرفين ماذا حل به ؟ لقد عذب... لقد عذب حتى الممات, أما أمي فلم اعد أراها و قد روي لي أنها تشردت و هامت، لم استطع أن أضم صدرها المطعون, ماذا تركت لنا فرنسا ؟ غير الأسى, تشردت أمي و ماتت. و قد قيل لي أنها حينما كانت تحتضر قالت : ابني بلقاسم سيحرر الجزائر رفقة إخوانه, لقد منعتني فرنسا من أهلي و أرضي ورمت بي في الجبال والأحراش, لكنها نسيت أن هذه الجبال والأحراش هي جزء من الجزائر, لقد تغذينا سم ومرارة الألم وثرنا على الأعداء فحطمنا قلوبهم وآلياتهم ..و حررنا الجزائر"

تلألأت قطرات الدمع من على خدي بلقاسم وتذكر كيف انه لم يعش حنان والديه ولم يتمتع برؤيتهما كما يريد، ألقى برأسه على كتف نادية، كطفل سرد ما في قلبه المنفطر، آه أين كنت يا أنت؟ لو مررت قبل مدة لكان بلقاسم لا يزال شابا، لم يهرمه الحزن و الأسى:" حرموني من أهلي، من أبي و أمي و عمار أخي، أنت لم تعرفي

عمار! لن أنسى هؤلاء الأوغاد سألعنهم كل صباح و كل مساء، وفي كل صلاة، لن أتركهم لو أخذوا حياتي لكان أهون علي من أن أنفطر طوال حياتي في أهلي و أحبتي..."، لقد كانت نادية تشعر بما يراود زوجها وترى ذلك فيه وكأن صمته يخفي شيئا ما منذ أول يوم في حياتهما كزوجين، فقالت له :" أتعلم يا بلقاسم أنت زوجي و أخي و أنت أبي، واعلم أني لن اختبئ من الخوف و سوف أساندك لآخر رمق في حياتي وأرجو من الله أن أكون خير معين لك، فهل ستثق في ؟"،ويرد: "و هل تزوجتك لكي أشكك فيك ؟ بل أنت أعز ما لدي فأنت الام و الأخت والزوجة، و لئن أخذ الله مني عائلتي التي جمعتني بها صلة الدم فان الله قد أهداني زوجة تبعث روحي من جديد واعلمي أني لأجلك لن أنوء عن شيء وإن كان صعبا".
هكذا رد بكل صدق على نادية، ما أحوجنا الى المودة بين أنفسنا، انها المودة و الرحمة التي جعلها الله بين الزوجين، لا توقد الا بأنفسنا، النفس المنطفأة لا تشتعل الا بالرحمة و الحب و السلام و اللين ...

نهض بلقاسم في اليوم الموالي فوجد أن زوجته سبقته في الاستيقاظ وأعدت له فطوره و سخّنت الماء لأجله ليتوضأ و يصلي، سُرَّ بلقاسم بذلك وشكر لها سعيها في قيامها بأمر المنزل وانطلق إلى عمله. ظلت نادية في ثاني يوم وحيدة في بيتها الجديد حتى سمعت طرقا في الباب، و بما أنها لا تزال جديدة فقد اضطربت و اقتربت من الباب تسأل من الطارق؟ أسائل حاجة؟ أما بائع جوال؟ أجار أنت ؟ أم عدو؟ لكن ترد من خلف الباب عجوز، " انا الحجة خديجة جارتكم" بنبرة من الشيخوخة و العتاقة، كلمات توحي بحب العجوز لاستطلاع امر الجيران، أإهتمام بهم ؟ أم تسول أخبارهم؟ ، أدخلتها نادية و رحبت بها و بدأت الحاجة خديجة في فحص نادية معدة بنكا من الأسئلة، هل أنت زوجة بلقاسم ؟ أول ما تسأل عنه أي سائلة للجارة الجديدة، فبلقاسم لم يعتد ان يحضر خادمة للمنزل، و بكل لطف تجيبها بأنه زوجها، بلا سأم أو ملل، تحترمها لشيخوختها، و ترجو أن تحل البركة في بيتها بهذه الزيارة، ثم تدعوها بسعة أن تشرب كوبا من القهوة معها، لكن الحجة خديجة تعتذر عن ذلك معللة أمرها بزيارة ابنها في السجن، لكنها سرعانما تعود لتسأل نادية:" لقد كان بلقاسم بطلا نحن نفخر به، هل هو جيد معك ؟ هل يتركك تذهبين إلى اهلك ؟ انه حزين دائما .." بساطة نادية تجعلها تؤمن بأن الاحسان يجب ان يكون عنوان الحياة، فتجيبها عن ما تسأله لعلها تعينها يوما على حاجة لا يفهمها الشباب، وبينما هما على هذه الحال حتى دخل سي بلقاسم، فرحب بالحجة خديجة، وعزمها على كوب من القهوة، لكنها اعتذرت و خرجت منصرفة. تبسم بلقاسم بعد خروج الحجة خديجة متسائلا عن سبب مجيئها، فأخبرته بأنها ارادت الاطمئنان عليها، فطلب بلقاسم من نادية أن تسايرها فهي عجوز، وهذا ما فعلته،

ثم حاول أن يمازح زوجته حين طلب منها ان تخمن ما حدث، فأجابته بسخرية " هل اهديت أسبوع عطلة"، فاخبرها بمرح أن والديها قاديمين لزيارتهما، حينها اعتذرت منه وقامت لتعد المنزل لاستقبالهما، و بلقاسم ينظر إليها حائرا... أهذه الفتاة التي سخرت منه قبل قليل؟"حسنا ، لقد أحضرت دجاجة وزجاجة عصير و بعض الفواكه وهذه خضر وحليب وستجدين الزيتون هناك كذلك". هذا ما أنهى به حيرته. بعد ساعة جاء الشيخ سليم رفقة الحجة كريمة، وقد رحبت بهما نادية و سعدت برؤيتهما كثيرا وتناولا أطراف الحديث و الأم تسأل عن أحوال ابنتها والأب يقص أيام شبابه على بلقاسم، حتى حان موعد رحيل الحجة والشيخ سليم وقد لاحظت نادية أن أباها يبدو تعبا فسألته بلهفة عن حاله، فأجابها انه بخير و ليس به شيء يدعو للقلق، ثم إن بلقاسم قام بإيصالهما إلى سيارات الأجرة وتأكد من ركوبهما، وقد كانت نادية متصلة جدا بعائلتها وبلقاسم لا يضره شيء من ذلك فهو يفرح لوفاء زوجته لأن وفاءها لولديها سيجعلها زوجة صالحة وفية لزوجها.

مرت شهور على زواجهما وحياتهما تزداد فرحا وسرورا و تمسكا، لقد كانت نادية سعيدة بزوجها بلقاسم فهو لم يمنحها قصرا ولا كنوز قارون لكنه منحها الحب الذي تتمناه كل امرأة والحنان الذي تشتاق إليه كل فتاة تصبح في ذمة رجل آخر، وبينما هذه الأيام السعيدة تمر يرن الهاتف في الغرفة المجاورة، و تهرع نادية للرد بابتسامة بهيجة: "الو" لقد قالتها بكل هدوء و حنان لامست بها أذن المتصل وحركت فيه السعادة للرد، لكن السعادة لم تكن من نصيب المتصل هذه المرة، لقد كانت الحجة كريمة تبكي و تتألم في الهاتف، لقد جعلت هذا الأمر نادية تقلق وتضطرب و تسأل بلهفة "ماذا هناك ؟ أخبريني يا أماه"، جمعت الحجة كريمة قوتها على الهاتف وأخبرت فلذة كبدها بقلب منفطر ولسان عاجز وعين تحترق من حر الدمع المنهمر " مات أبوك يا ابنتي " هذه الكلمات تساقطت على نادية فأثقلت كاهلها، تسمرت في مكانها وجعلت تحدق بعينيها اللتان اتسعتا وعجز لسانها عن النطق، لقد بهتت، والدي كيف ذلك ؟ ماذا حدث ؟ كيف مات ؟ لقد كان بخير ! والأم تنادي في الهاتف على نادية " يا نادية يا ابنتي ردي علي" فجأة وفي لحظة من الصمت القاتل تنادي نادية بحرقة " يا بابا يا بابا " و قد سمع صراخها الجيران فهرعوا إلى بيت بلقاسم و بلقاسم الذي لم يعرف ماذا يحدث إذا به يسمع صراخ زوجته يترك ما بيده و يجري نحو الغرفة التي كانت بها وهو ينادي " نادية أين أنت ؟ ما بك يا نادية" حتى دخل عليها والهاتف في الأرض وهي جالسة تبكي وتتمزق ألما لمصيبتها، كان الزوج المسكين يقاوم بكاء نادية ويحاول أن يفهم ما تقول ولكن هيهات أن تسمعك يا بلقاسم فهي الآن في ملحمة مع الأسى عنوانها فقدان الأب، فاهتدى بلقاسم إلى حمل الهاتف وسأل : الو ! من هناك ؟ ، فكانت

**الحجة كريمة من رد " يا ابني انظر نادية لقد أخبرتها أن الحاج قد مات" بلقاسم الذي تذوق مرارة الأسى من قبل لم يكن غريبا عليه هذا الشعور لكن أن يرى زوجته تنادي و تنوح سيجعل شعوره غريبا، تماسك بلقاسم و قام مواساة زوجته و حضّرها للذهاب إلى الحجة كريمة.**

**لقد انطلقت هذه الفتاة المجروحة رفقة زوجها الذي لم يجد ما يفعله تجاه هذا الأمر سوى أن يخفف عن زوجته قائلا" كلنا سنموت يا نادية لا تفعلي هذا بنفسك أرجوك" لقد كانت رؤيتها هكذا أصعب عليه من فقدان أهله، وبعد لحظات وصلا إلى بيت الحجة كريمة فقدما تعازيهما و عزت ندية أمها في أبيها و ظلت معها طوال أيام العزاء وبلقاسم قائم رفقة أهل عروسه على أمر البيت.**

**مر أسبوعان منذ وفاة الحاج سليم والحجة كريمة تشعر بالوحدة والأسى يقتلها كل يوم ببطء، وقد لاحظ بلقاسم أن زوجته كذلك لازالت حزينة على فقد أبيها رغم انه قد مر أسبوعان على وفاته، فقرر أن يحضر أم زوجته لتعيش معهم في بيته، ولم ينتظر حتى يخبر نادية التي لم تتمالك نفسها من هذا الخبر وقد استبشر حين رآها سعيدة، لقد كان امرأ رائعا بالنسبة له أن يرى فرحة زوجته بعد ما أصابها من الكآبة والحزن، فكانت أول ما فعلته نادية أن اتصلت بأمها تخبرها بالقرار الذي اتخذه زوجها، لم ترد هذه الأم أن تكون عبئا على بلقاسم وزوجته فرفضت إلا أن إصرار بلقاسم جعلها تتحفظ على القبول ورغم ذلك فإن بلقاسم حضّر ما يمكن تحضيره لنقل معيشة الحجة كريمة إلى بيته.**

**لقد جاءت الحجة إلى بيت بلقاسم وعاشت فيه ما كتب الله لها أن تعيش، وما أقصر أيامك يا حجة كريمة بعد وفاة زوجك، لابد أن شوقها لزوجها لم يطيّب لها العيش إلى جنب ابنتها، انه هو الحب الحقيقي الطاهر أن تكون أثار أقدام حبيبك كنزا تحتذي به إني أعجب كثيرا اليوم لمن يرى الزواج والعلاقة الزوجية مجرد احتفال وسهرات على مر أسبوع وتظاهر بالثراء والكثير من الإسراف، ما زالت بعض النساء يتزوجن لأجل جمال الرجل وماله ومازال بعض الرجال يتزوجن من اجل جمال المرأة وجسمها، و هذا لن يحقق الرباط الزوجي المقدس الذي سماه الله بالميثاق الغليظ.**

**لقد عاشت نادية مع زوجها أياما رائعة ذاقوا فيها حلوا ومرا و تناوبوا مكابدة العناء، لقد خلفت نادية سبعة أبناء رفعوا رأس بلقاسم وظهرت فيهم أخلاق نادية الطيبة فكان نور الدين وعبد الله وعلي من أحسن موظفي شركاتهم ومؤسساتهم فمنهم من كان أستاذا ومنهم من كان تاجرا ومنهم من كان طالبا، و كانت فطيمة وكلثوم وجميلة حسناوات العائلة جمالا وأخلاقا وقد تزوجن كلهن، أما السابع فهو**

الحسين الذي توفي صغيرا وكان للعائلة نصيب من الحزن فهو أول أولادهم وأول ميتهم.

إن بلقاسم رجل شهم بنى بيته على الحب رغم قسوة العيش ونادية كانت زوجة وفية طيبة لم تجعل زوجها يجرح مشاعرها وحتى لو أخطأت ما كان لبلقاسم أن يقول لزوجته شيئا، و أما أبناؤهما فهم محصول إنتاجهما.

# الغريب

كل يوم أتذكر فيه أنني حي، أحاول أن أقوم بما يقوم به الأحياء، أؤدي واجباتي الدينية و الدنيوية لقد تعودت على هذه الحياة، و تعودت على رعاية الأهل هذا جعلني اكبر و أتعلم أن كل شيء يزيد ينقص، و أن العمر المديد إنما هو مرور زمن طويل على البشر. لقد كنت أقوم كل صباح إلى الجامعة، اخرج من منزلي على الثامنة صباحا متجها نحو المحطة، التقي في طريقي بفتاة جميلة كل صباح فنلقي التحية على بعضنا، و نواصل...إنها تذهب للمحطة في الحي المجاور لي و أنا أذهب للمحطة في الحي المجاور لها. وحينما اسلك طريقي تمر بي حافلة الطلبة و هي ذاهبة لتقل الفتاة و من معها في الجهة الأخرى. بينما أمر على صديقي عبد القادر القي عليه التحية و ندردش قليلا، حتى يمر أيوب فاذهب و إياه ننظر الحافلة. إنها صباحياتي كل صباح بهذه الطريقة . و كل ما يحملني على ذلك إلا تلك الفتاة الجميلة التي أراها كل يوم و اقضي معها معظم وقتي. إنها بارعة في القضاء على الملل في حياتي . لم يكن لقاءنا في مطعم على شاطئ البحر أو مقهى عائلي حتى إننا لم ندخل صالة عائلية معا. لقد كان اللقاء مقدرا حينما كنت استقل الدراجة، لقد كان اسعد أيام حياتي.التقيت فيه بزهرة عطرت جو قلبي و أسالت حبر قلمي و أدمت فؤادي بفراقها كل مساء. منذ تلك اللحظة صرنا اقرب صديقين . نلتقي كل

يوم لندردش ونتمازح إننا نلقي النكات و نضحك بهستيريا، و كأن قلبينا ملآ ألما من قبل أو كأننا نريد أن نتحدث في أمور ما، و لكن ذكرياتنا لا تسمح بهذا الحديث فتجري على ألسنتنا طرائف . استمتع بالنظر إلى عينيها إنها تحمل عبارات مخفية تجعلني أحاول أن اخرج ما في قلبها وحينما تحدثني أضمها، و اتركها تتكلم بعفوية مثل طفلة تريد أن تشتكي من صديقتها التي سرقت منها قلمها. شفتاها تتمايلان حتى لا تخلط بين الحقيقة والزيف لأنها تزيف كل ما تقوله عن نفسها حتى لا يمل منها من حولها، إني احترمها لذلك. في لحظة ما أخبرتها أني أحبها، لا اعرف معنى ذلك الرد! إلا أنني لم أعجب به أظن أنها ترفضني تارة ولكن أقول في نفسي ماذا إن تخبرني ؟ وتارة أقول إنها لا تريد فراقي ! و قد عدت يوما مهموما شارد البال ليس بي ما يحمل إلا عيناي استعين بهما أرى الطريق. دخلت إلى مقهى الحي و جلست كالعادة فجاء النادل إلي، الذي صار يعرفني من كثرة ترددي عليه فقلت احضر لي قهوة. تعجب من هذا الطلب لقد تعودت على غيرها و أنا جالس أجول بنظراتي في وجوه الناس، مبتسم و ضاحك حزين و مهموم و أشخاص يتأملون في السماء مع سيجارة و قهوة. حتى انتهى بي الحال أفكر و أجول بخاطري في متاهات المستقبل الذي لم يكن علي أن أخوض فيه... وبينما أنا هكذا حتى جلس إلي رجل كبير معتذرا يطلب أن يجلس معي: يا بني أظن انك تجلس لوحدك هل اجلس معك ؟ فرحبت بابتسامة و سعة. اخرج الرجل سيجارة و قال: إن هذه السجائر تقتلنا وتزيدنا الهموم. ثم جاءه النادل بكوب ماء فقلت له : احضر لك شيئا تشربه غير الماء . رد ضاحكا : هل تقول هذا و أنت المتعلم الم تعلم أن الماء هو أساس الحياة ! فاعتذرت منه وقد بادلني الطرفة . ثم انه اخرج من سترته الجريدة وبدأ يطالع الصفحة الأولى و انتقل إلى الأخيرة و أعاد الكرة لأول الجريدة و بدأ يقلب الصفحات و يقرأ بسرعة و يقرأ علي الأخبار التي يهتم لها " الجزائر تتحفظ على موقفها من حزب الله !! ما الذي تريده بالضبط"، " اسمع هذه فلسطيني يقوم بعملية طعن يا لهم من شجعان" هو يتكلم و أنا ارمقه بنظرة هل أصبح مثله يوما و اجلس إلى فتى و أتحدث إليه. ثم قلت له: يا سيدي أرى انك تحاول قول شيء ما فلا بأس تكلم. هنالك ترك الجريدة وقال بنبرة جادة: الآن وقد طلبت ذلك فسأتحدث إليك.بدأ الرجل يتكلم و كأنه يحاول التفتيش في داخلي. في لحظة ما قاطعته مطالبا بما يريد. هناك فقط تيقن أنني احتاج إلى من يحدثني، قال لي : أتعرف إني في سن خمس وأربعين و متزوج بامرأة ليست ككل النساء و لدي فتاة إنها في سن ثمان عشر و أنا أحبهما كثيرا إنهما يعنيان لي تعبي و راحتي وفرحتي وخزانة حزني وسري وسعادتي. كنت استمع إليه مباركا تارة و مبتسما أخرى أتعجب من شخص لا يعرفك يجلس إليك يمازحك و يقص عليك من إخباره، وهو يتكلم قال : إن زوجتي لم تكن الفتاة الأولى التي عرفتها و لكنها آخر من عرفت و تمنيت لو كانت

أول من عرفت،لقد رأيتها و أنا في سن العشرين وقد كنت طائشا لقد كنت أسير مع فتاة جميلة _ضاحكا_ محاولا أخذها لنشرب أكواب من القهوة ،فحينما رأيت مستقبلي يمر أمامي عرفت أني لن أهدأ حتى أتحدث إليها لكن من تكون و هل تدرس و أين تسكن ؟ لقد أمضيت ساعتين فقط مع الفتاة الأخرى فقط لأتحقق من التي رأيتها ،و قد أشارت الساعة إلى الرابعة وأنا أمر بثانوية رقم ثلاثة لقد قضيت أفضل أيام دراستي هناك حتى رأيت تلك الفتاة فيا لفرحتي وقفت مبتسما و هي تمر أمامي فاني اذكر ذلك وكأنه حدث أمس قلت لها معاكسا أيتها المليحة أسرتي قلبي وأخذتي دربي فانفجرت ضاحكة ولم تلتفت إلي حتى لكن ذلك الأمر أعجبني و كأني متأكد من نيلها، ومنذ ذلك الحين بدأت أتردد على ذلك المكان و بين الفينة و الفينة كانت تحادثني حتى صرنا صديقين مقربين نلتقي هنا وهناك و نمشي معا و نتبادل الأحاديث الطوال ،إني اذكر ذلك اليوم كان يوم السبت وقد تشجعت لان أقوم بأمر ما نحو تلك الفتاة لا يجب علي أن أقول لها صديقتي يجب أن تكون حبيبتي وفي ذاك اليوم التقيا وظللت صامتا و هي تثرثر وتتكلم لا تعلم ماذا يحدث في داخلي كانت تتكلم وتضحك وأنا لا ادري ماذا تقول كنت انظر نظرة ذائب في الحب لان قلبه وتمدد صدره لم يقوى لساني على الحديث والتصقت شفاهي .حتى انتبهت لي ولصمتي الرهيب: ما بك أنت على غير عادتك ؟ وأنا انظر إليها و قلبي يخفق ويرتجف و كأنها أول مرة أتحدث إليها.بدأت في القلق وهي تسألني أنت مريض؟ جائع! تريد الاستراحة؟ حتى تكلمت بشدة قلت لها و بدون توقف حتى إني لم اترك لها مجالا لترد علي : يجب عليك أن تسمعي أنت لست صديقة أنت لست ما تظنين أنا لا أريد إن أكون صديقك الم تفهمي بعد الم تدري أنت حمقاء تمهلي قليلا دعيني أشجع نفسي على التكلم معك . ثم صمتت قليلا و هي تنظر إلي مستغربة ومفاجئة وقد آلمها كلامي لأني لم اخبرها فقط بما يجب أن تعرف ثم قلت لها و أنا انظر في عينيها: احبك، واعتذرت لها على فظاظتي و إني ملزم على فعل ذلك لأني كنت في موقف لا يتكرر وهو أفضل موقف أعرب فيه عن حبي وغادرت وتركتها هناك جالسة وكأنها صماء بكماء وغادرت و في قلبي ندم شديد لأني أخبرتها بحبي لها لقد كانت غلطة بالنسبة لي و فكرت في أنها سوف تمقتني و لن أكون مجرد اخرق ادعى الحب، بت ليلتي و أنا أفكر في تلك الفتاة و أنا أتمنى لو عدنا لمقعدنا و مر الوقت و سألتني و أجبتها أني تعبان فقط لقد كانت ليلة عذر و ليلة أسى أفكر وأفكر جافاني النوم وعز علي إغماض عيني و في اليوم الموالي مررت من الثانوية متخفيا و وقفت في زاوية على غبر عادتي أراقبها و هي تخرج فانتظرت و انتظرت وطال انتظاري ولم تظهر ،فقلت في نفسي ربما خرجت في وقت سابق وعدت لمنزلي وكررت الأمر كل يوم و كل ساعة تركت كل شيء وانشغلت بالانتظار لكنها لم تعد لقد غابت إلى الأبد فبدأت أخمن هل ماتت ؟ هل ما قلته لها كان السبب في

**اختفائها؟ لقد صارت حياتي جحيما منذ لحظة"احبك" لقد مررت بأيام عصيبة و صارت حياتي ملبدة وآنا في سن العشرين فقط ،لكن ستظن أني في ين أحب و أعجب فقط .نعم أنا كذلك فكرت بهذا وقلت سأعثر على فتاة أخرى... لكن هيهات هيهات لقد تمكنت من قلبي ...فنظر إلي وقال هل أزعجك ؟ فقلت له: طبعا لا أنا استمع إليك أريد أن اعرف حتى النهاية.**

**تبسم و اخذ يقص ما جرى بعد ذلك فقال: مرت ست سنوات يا بني منذ تلك الكلمة، انتظرتها كل يوم أمام الثانوية كل يوم لقد تركت حياتي هناك وأنا انتظر لمن آثارها اختفت وما عادت وأنا لم ولن أنساها. يوم السبت وأنا عائد من العمل وبعد ست سنوات وقد تعودت المرور بالثانوية لأنها طريقي رأيت فتاة جميلة طويلة في عز شبابها بيضاء تضع حجابا وتحمل حقيبة وتلبس معطفا وعلى عينيها نظارات شمسية لقد لسعتني من بعيد وشممت رائحتها إنها هي حبيبتي لم أتمالك نفسي حينما رأيت الحمام يعود لعشه لقد بدأت يداي ترتجفان ولساني تخدر فلم استطع النطق ولكأني سمرت في مكاني وهي لا تعبأ لي ولا تلتفت لي فلم تراني بعد ثم إني فرحت برؤيتها فرحا شديدا وهممت بالذهاب إليها حتى رأيت طفلا وقد جاء إليها وهو يجري انحنت وقبلته وأمسكت يده وذهبا معا .لقد أحسست من جديد بشعور راودني قبل ست سنوات أردت أن اذهب إليها واخبرها بأنها خائنة وأنها لا تستحق أن يحبها احد وان قلبها حجر.. ولكن هدأت وفي موقفي ذاك تبسمت فيا ترى لم يتسن لها حتى لتجيبني بالرفض أو أن مغادرتها كانت رفضا كيف تخونني وهي التي لم تخبرني بما أخبرتها لقد غرت فقط ولم اكرهها كيف افعل وقد تمنيت لها السعادة ووضعت فرحها فوق كل اعتبار. وقد تبعتها في ذاك اليوم متخفيا حتى اعرف هل تعيش هنا أم أنها تزور فقط فمرت بالأحياء مع ذاك الطفل حتى وصلت لمنزل كبير وجميل دقت الباب ففتح شخص ما كان رجلا عانقها بشدة وهي كذلك فقطعت الشك بما رأت عيني و كانت بداية محو الذاكرة منها فلا يجب أن اجعلها تعيش قلبي و هي تعيش في بيت رجل آخر. لكن لم يكن الأمر سهلا لقد ظلت صورتها تعانق خيالي وريحها يسكن أنافي، وفي يوم ما وأنا ذاهب للمنزل كالعادة ناداني شخص ما فاستدرت إليه.في تلك اللحظة تمنيت لو أني لم استدر لقد كانت هي وتقدمت نحوي فرحة سعيدة تكاد تطير إلي وأنا انظر إليها منكسرا بابتسامة لولا أني حسبتها متزوجة لصرخت فرحا. لقد وقفت أمامي وهي تنظر في عيني و تريد أن تتكلم لقد عانقتني أمام الناس وبكت بحرقة فقلت في نفسي يا الهي ماذا يحدث هل سأكون سببا لمشكلتها فدفعتها عني وقلت أنت متزوجة احذري مما تفعلين. أتعلم ماذا قالت ؟ فرددت عليه بهزي رأسي لا ... فقال: لقد قالت أيها الغبي لست متزوجة من أخبرك بهذا الهراء؟ هناك ضحكت بشدة حتى انتبه لي الناس وكأنه قد جن جنوني وهي تضحك معي وقد بكيت بميت بشدة فرحا بهذا الخبر بعد**

**ست سنوات تعود ولم تتزوج بعد نعم بكيت وعانقتها بشدة اتقدت نار حبي وتلعثمت وأنا اخبرها باني آسف حين أخبرتها بحبي لقد تأسفت لأني ظننت أنها غادرت بسبب رفضها لي ،ثم إننا ذهبنا للمقهى نجلس ونتحدث فقالت لي أنها لم ترفضني وأنها تحبني لكن لم يكن هناك مجال لتخبرني بذلك لأنها بعد أن غادرتها أنا تلقت اتصالا بان أخاها قد توفي في حادث وقد كان يعني لها الكثير و يحبها كثيرا وقد سألتها عن الرجل الذي عانقته فأخبرتني انه أخوها من الرضاعة فقط هناك ضحكت و أنا انظر للقدر كيف يعلمنا في هذه الحياة وقد أخبرتني كذلك أين ذهبت حين اختفائها فقالت لي أنها سافرت مع أمها لتعالج في الخارج واستقرت هناك كل هذه المدة .لم أرد أن اسألها أكثر من ذلك ولم اخبرها باني كنت أعيش الجحيم أتعلم يا ولدي لقد نسيت كل شيء بعد رؤيتها ولما تكلمنا كأننا لم نفترق ولم تعد تلك المدة في الحسبان انه أمر رائع أن تحس بالحب و جميل جدا أن تعرف أن حبيبك أنت حبيبه، وبعد أشهر تزوجنا وهاأنذا معك غريب أقص حياتي عليك فماذا ترى؟**

**تبسمت و أخبرته أن قصته هذه بنيت على الصدق والوفاء فمن سيصبر ستة أعوام غير محب عاشق لقد قلت له يا سيدي لقد حطمت أسطورة امرئ القيس و عنترة و نسجت قصة حب الغريب . أما أنا يا سيدي فاني لا أرى نفسي أهلا للصدق في الحب خاصة ما يجارينا اليوم من عادات دخيلة وقوانين ليست بكل ذاك الحياء الذي عهده الحب سابقا أظن أن قصتي لن تنتهي وان انتهت فستكون أسوأ قصص الحب على مر التاريخ . صمتنا قليلا ثم تبادلنا الوداع لأننا نعلم أننا لن نلتقي من جديد وان التقينا فلن نذكر بعضنا أو سندعي ذلك ليبقى كل شيء سرا.هكذا كتب لبعض الأمور أن تدفن حية مثل الأحاسيس التي تموت اختناقا في داخلنا تورطنا فنكبتها في جوفنا حتى لا تجد كيف تتنفس انه الموت بكل احترام وكرامة في عالم العشق والهوى.**

**إنني هكذا قررت أن أعيش بقلب ميت لا يتعلق بأحد وإلا سأعيش حسرات الفراق وآلام الاشتياق وسأبقى متخفيا أراقب من بعيد حتى لا اخطأ ولا اخرق القانون الديني ولا الدنيوي وأعتزم أن لا أكون الشخص الشرير الذي يقود الناس إلى مكائد الحرام.**

**أما عن حبيبتي فسأترك الزمن يحرك حروفه علّه يجد كلمة أخرى تجعلنا نجتمع في ما يرضاه كلانا وليس فقط ما يريده إحساسنا وحاجتنا إلى بعضنا، إني هكذا أطفأت مصباحا وأشعلت شمعة حتى إذا كادت لتنطفئ وجدت السبيل لحمايتها، لأن ذلك المصباح سينير كافة الأرجاء ويكشف الأسرار ونحن لا نريد ذلك، لذلك أريد لحبيبتي أن تستمتع بحياتها من دوني وتأتي إليّ في يوم و تنظر هل ستتغير متعتها أم ستبقى كما هي ؟ لكن أعهد إليك أنّي الغريب عنك فأحبيني إني مناشدك.**

# الحبّ الأوّل

**حينما قالت لي أنت تروقني أيقنت أنـها لن تبقي َعلى هذه الكلمة طويلا وستقول يوما ما: "أحبك" لذلك ظللت أبتسم في وجهها وأدّعي الإندهاش "حقّا !! " وهي تجيبني بكل صدق " نعم كثيرا ولا أعرف كيف أعبر عن هذا الشعور"**

**وقد اعتدت التجول في شوارع مدينة مغنية رفقة عبد القادر صديقي ...و كنت لا أزال صغيرا أربعة عشر سنة .**

**إنها 2007 مرت سنة على نجاحي في شهادة الابتدائي وبعدها تغير كل شيئ ، وكما قلت اعتدت التجول في المدينة والعودة الى المنزل عند أذان المغرب، لكن هذه المرة وجدت ما غير مسار حياتي ، وجدت فتاة في منزلنا ، كانت رائعة وجميلة، وبمجرد دخولي القت الي بنظراتها كي أحتضنها وأخضعتني بابتسامة ولكني شعرت بذلك الخجل ، بل إني لم أبادلها حتى الابتسامة ، ذهبت إلى غرفتي وظللت أتذكر ما حدث للتو و أسرح بخيالي في ذلك الجمال بعقل الطفل في داخلي الذي يزاحم ما مررت به صور الأبطال الخارقين الذين يعرضون أنفسهم للخطر في سبيل إنقاذ الناس ، ودائما ما يملكون معجبات جميلات وحبيبة يفانون في إنقاذها. لكن لم أكن ذلك النوع بعد أقصد الفتى الذي لديه حبيبة ذلك لأني تربيت في كنف والدين سهرا في تعليمي و تدريبي على حسن الأخلاق وترك المشين منها، لذلك بقيت ملازما للبحث في الدين و التقرب الى من هم في غنى عن الدنيا وملذاتها ولم أطمح يوما لأن أنجر وراء الدنيا، ولكن نظرة تلك الفتاة أشعل فتيلا طويلا جدا لم ينفجر حتى مرت عدة سنوات.**

**ظننت أني لن أرى ذلك الوجه الجميل من جديد، لكن حينما عدت إلى المنزل في اليوم الموالي ، فتحت هي الباب ، نظرت إليها نظرة وقد برزت عيناي إليها ، واحمررت خجلا وتعرقت لدرجة أني لم أستطع النطق لأقول : هل يمكنني المرور ؟ لكن تلك الجميلة ظلت واقفة تنظر إلي وهي تبتسم بكل برودة ، يا إلـــهي لقد كانت شريرة و تعلم أني أخجل لهذه الدرجة لذلك عاقبتني تريد أن أتكلم معها، كان ذلك مزعجا لي و محرجا في نفس الوقت لكن دخلت بحمد الله ، وفي ذلك المساء وبينما أنا منشغل على الحاسوب ، حتى اقتحمت غرفتي وطلبت مني قائلة : " هل تأتي لتجلس معنا ؟" ،كنت تخلصت قليلا من خجلي بعدما حدث ولكن بقيت أنظر إليها و إلى جرأتها كيف تدخل غرفتي من غير إذني ؟ ولازلت أنظر إليها ، وهي تبادلني النظرة وعيناها تتسعان ثم قالت :"هل تفعل؟"، حينها فقط استعدت نفسي و عادت إلي أفكاري وقلت:"نعم،نعم قادم" ، وما إن خرجت حتى ألقيت برأسي على طاولة الحاسوب ألوم نفسي ، لماذا أتحرج منها ؟**

**لقد سحرتني كلماتها القليلة، وأخذت عقلي تلك النظرات، فلم أتمالك نفسي حتى وجدتُني جالسا معها، ليلةٌ نزعت مني حرجا وحياء وجعلتني أوظب خجلي في حقيبة ما و في مكان ما ، لقد تعرفت إليها وصارت من أعز الأصدقاء، صرنا نتسامر في الأنترنت ونلتقي في النهار، بل وندرس معا، وتلك الفتاة تزيد مني قربا وأنا أزيد إليها شوقا، لم أستطع ان تركها.**

**إنها المرحلة التي زادت العلاقة التهابا وكأنها مزجت برصاص منصهر في سنة 2009، كنت أتباع تطورات المباراة بين الجزائر ومصر، وقد كانت أياما صعبة لشعبي هذين البلدين، وقد قامت فتنة كبرى كادت تودي بعلاقة الأخوة و الإسلام، فلم يترك فيها الاعلام والبلطجية من الشعبين مجالا إلا انتهكوه فتعرضوا للمجاهدين والشهداء، وتكلموا عن الأحزاب والحكام، والحمد لله قد انقضت تلك الفتنة و لقت حتفها، أما ناحيتي فقد تطورت علاقتي بتلك الفتاة وأغرمت بها وتمكن حبها من قلبي إلا أنني لم أشأ أن أخبرها بذلك، لا أظن أن الأمر كان يستحق كل هذا الإخفاء فلقد استوضح في كثير من المرات حبي لها، لكن لم أتشجع لأتكلم بما في قلبي وتركت هذا الأمر في صدري، حتى أخبرتني بكلام جعلني أتخبط في أفكاري و أتلاعب في هدوئي، لقد اضطربت وأحسست عالماجديدا حلّ بداخلي، لقد قالت بنبرة جد وكلها حنان وودّ:" ما عدت تروقني ... أنا أحبك " ، يا الـهي كيف وصل الأمر الى هذا الحد، وقد التفت إليها وكأني رجل خبير بهذه الأمور وقلت بأنها معجبة فقط و أن تتريث قليلا ، وليتني لم أقل ذلك ، لقد عاقتني بحرارة ، وقد كان في جعبتي كلام كثير إلا أنها لم تسمح لي بالكلام، وقد رحلت لبيتها و بقيت أنا متسمرا ولكن هذه المرة كنت مستيقنا انها تحبني.**

**لقد أحببتها و مررنا بأيام جميلة ورائعة ، أيام حلوة ، مرحنا وتواعدنا وقمنا بتجارب جعلتنا نتقرب من بعضنا أكثر فأكثر، قضينا سنوات كبرنا فيها معا وصنعنا لانفسنا ذكريات وألفنا كتابا ضخما لا تسعه الصفحات ، جل أسرارنا وحياتنا خلال تلك الصفحات الضخمة ورغم أن بعض مشاكسات الصبا ظلت تلاحقنا ، مرت أيام الحياة في الثانوية كذلك وصرنا شبابا يافعين و تحركت فينا كل حالات البشر، انه ذلك الموقف الذي تحس فيه أنك تستطيع فعل أي شيئ دون أن يراقبك أحد،**

**لقد كنت دائما أدعي أني لا أحبها ولكن أنا أحبها، إنها الخشية من كلمو "أحبك" ستجعل تبتعد عن كل حياتك، عن والديك و إخوتك و أصدقائك، و تنشغل عن دينك سوف تصبح فارغا، لم أكن أميز معنى الزواج كنت أظنه ممارسات يومية كأن تستيقظ صباحا و تذهب الى العمل ثم تعود إلى المنزل و أنت تعب فتستحم ثم تأكل قليلا و تنادي زوجتك حتى تنام معك لتنسيك يومك المتعب، إنه كذلك جدول فارغ ، كبرنا و اكتشفنا العديد من الاشياء الخاطئة، لكننا في عمر يمكننا أن نصححها بعزيمة و قوة أكبر.**

**مرت سنوات 2012 سنة حافلة بعد مدة من الحب و الحنين و الحرارة وجو من العاطفة الفاتنة، وكأي علاقة لا ترتبط بالدين و ليست مرصعة بالشرعية ستنتهي حتما بالاذلال رغم كل طهارتها وصدقها، لقد تعلمت الفتاة أكثر مما يجب وجعلت**

قلبي فارغا من نفسي ومملوءا بها ، لقد صرت أفكر فيها و اكتب الاشعار لاجلها، صرت أبحث عنها في كل مكان، حتى في حيّها، لكنها أرادت أن تغيّر هذا الفتى الذي لا يبادلها الحبّ علانية، فكما قلت لم أقل لها يوما "أحبك" صراحة، و بربكم من سيواصل علاقة ليس فيها كلمات رنانة و أقوالا معسولة، أنا أتأسف لكن أجبرتها على ان تخون، كانت أول خيانة لها أنها صدفة مع من ؟ مع صديق مقرب لي، لا هو يعرف عنها و لا هي تعرف عنه، لقد تبادلت دردشة عابرة عبر الانترنت فقط، فوقعت في شبكة الغدر، ذلك الصباح التقت به في ذلك الضحى البازغ الذي كشف المخفي، اتصل بي صديق و هو يقول : حبيبتك مع صديقنا ، لم أتمالك نفسي، ولأنني رجل لم أعر أنوثتها اهتماما، ولا أشك أن هذا خطأ في رجولتنا اليوم، و كاي عاشق اتصلت بصديقي أستفسر منه و لكن ما وجدته عنده أنه لا يعرف شيئا مما بيني وبينها، و انما فعلت أن نكرت وجودي في حياتها، أتعرفون دموعا صادقة من فتاة! لقد رأيت دموع تماسيح صادقة و لم أر دموع فتاة محبة بصدق، لكن رأيت دموع فتيات يبكين بصدق لأنهن أحسسن بقهر وظلم، أنا لا أستطيع تجاوز الأمر أقصد انني لا أستطيع ان اتغاظى عن موقف يُبكي فتاة، كيفما كانت جوهرة روحها ،فاسدة، صالحة، أنا لا أهتم حقا بتلك المظاهر لأنها تخدع دائما، لقد واعدتها في يوم ما وأجبرتها على الإعتراف، لقد ضغطت عليها حتى بدات تبكي و تعتذر و أنا "رجل" كم أحتقر تلك الكلمة إن كانت تستعبد المرأة، تلك الفتاة المسكينة ذرفت دموعا أمامي فما كان مني الا ان إعتذرت منها لقد رقّ قلبي، تبا له من قلب جلب لي المشاكل.

ثم مررنا بأيام خالية من المشاكل، ظاهريا كانت علاقة في تحسن و لكن فتاتي تلك كانت تواعد صديقا جديدا، و هي القاضية ما إن بدأت هذه العلاقة، حتى أسقطت إسمي من جدولها، لم أعد مهما لربما لأني لم أنم معا في سرير واحد ؟ أو أني لا املك مالا ؟ أو أني لا أريد أن أخدعها بحب كاذب؟ هي لم تعرف طريقتي ولكنها أحبتني بصدق و أنا عرفت جوهرها و أحببتها رغم ذلك، لقد صادفتها مرارا مع صديقها الجديد ورغم أنها واصلت محادثتي إلا أنها لم تحاول الخوض في الحديث عنه، لذا قطعت علاقتي بها أياما، ولما عدت وجدت انها قطعت كل حياتها بي و جعلت مني ماضيا لم يحدث، أتعرفون ذلك الألم حينما تشعر أنك مخدوع من طرف عزيز على قلبك، سيفكر فيه كل من جربه و سيتساءل عن ذلك من يعيش كذبة الحب بدون زواج حقيقي.

لقد حدثت أمور كبيرة بعدها لكن بعد صراع طويل نسيت من تكون و بنيت حياتي الجديدة بل وجدت قرب ربي أمورا أعظم من مرافقة فتيات لا أعرفهن الا صدفة ، لا أنكر أنني تعرفت الى فتيات صالحات لكن الحب الاول جعلني اتسمم من الحب كله.

**لن اواصل الخوض في قصتي فتاتي هذه لكن لعلها ستقرأ ماذا كانت تعني لي قبل اليوم الذي وجدتها فيه رفقة خطيبها ذاك، ويجب ان تعلم ان فسخ خطوبتها لم يفرحني بالقدر الذي جعلني أتأسف على حياتها.**

**لكن أظن أن من دعا لي بظهر الغيب كي لا أقع في شرك المحرمات شخص فريد من نوعه أنا أشكره.**

# خطبة الجواد

**في هذه الحياة يسعى الانسان جاهدا دوما لأن يعيش سعيدا، وهو لايعلم أن السعادة ليست كل شيئ في دار الفناء هذه، يجب علينا أن نمرّ باختبارات تمتحن صبرنا وجلدنا ومسؤوليتنا بل وإيماننا، ذلك ما تعلمه جواد، الحياة ذات قيمة و أنفسنا جوهرة لا يجب أن نلطخها بتسرعنا أبدا.**

**وبينما أنا أسير إلى المسجد ذات يوم صادفت جواد، إنه يسكن بضعة أمتار عن منزلنا رفقة والديه، إنهم أناس بسطاء مثلنا، يتشبثون في الأمل لمواصلة الحياة الكريمة، إن تلك الحياة الخالية من النفاق و الكذب هي أولى أن تكون حياة كريمة، و تمشينا مع بعض قليلا ولما صرت أمام المسجد اعتذر وأخبرني أنه مستعجل لقضاء حاجة ماسة، صلينا و هممنا بالخروج لكن تفاجأت بجواد يجلس في آخر المسجد، وقد سألته إن صلى معنا و اندهشت من تصرفه حين قال "نعم"، علمت من خلال تصرفه انه يخفي شيئا لا يود أن يخبر به أحدا، لكن أحسست بألمه و ثقله على قلبه، فجلست إليه عسى أن يخبرني عما يثقل كاهله.**

**يا صديقي أتعلم أن حياتي صارت بائسة، لاأحتاج شيئا الآن ليجعل لعمري الذي أفنيته معنى، لقد تدمّر كل شيئ أمام عينيّ، أنا لم أصنع ما أردته دوما، بل ساهمت فقط في تحطيم نفسي.**

**أجبته مباشرة "أنثى"، فقال هي كذلك، حينها فقط بدأت تتضح صورة معاناته لي، و سألته أن يخبرني قصته.**

أنت تعلم أنني أعيش مع والدي، و لسنا ذوي جاه ومال، وكما تعرف مثلي مثل بقية الشباب، كنت ألهو وألعب، وأظن أن هذه الدنيا متعة ولن تزول، لكن كنت كذلك على قدر المسؤولية، ولم أكسر خاطر والدي، ولم أجعلهما يتحسرا على تربيتي، بل بنيت نفسي.

وذات يوم وأنا جالس مع والداي على العشاء، لاحظت أن أمي تتودد إلي على غير العادة، وأبي يسخر منها، وكأنهما تناقشا على شيئ ما، وما ظننته حقا أنها سيضعانني وسط قالب، لكن أمي قالت :"يا بني لقد كبرت جد عملا عله ينفعك في المستقبل"، لقد نزلت هذه الجملة على رأسي كالصاعقة، وكأنهما يحددان لي أن أيامهما معدودة في هذه الدنيا، نهضت من الطاولة و قبلت رأسيهما، وفي قلبي مثل الجمرة، لا يطفؤها ماء ولا شيئ، حتى التفكير في حياتي بدونهما تجعلني أشعر بقشعريرة تنساب في بدني، وفي صباح اليوم الموالي إتجهت الى صديق مقرب لي، وأخبرته بأن يعينني بالبحث عن عمل مفيد أجني به قوت يومي و أعيل به اهلي، ومن حسن حظي أنه كان يحتاج إلى سائق شاحنة، لنقل البضائع، فعملت لديه وليتني لم أفعل، فمشكلتي الحقيقية بدأت من هنا.

لقد عملت بجهد، وتحديت نفسي لأعمل، وقد ظننت أن والدي قصدا العمل فقط، لكنهما قصدا أمرا آخر، عدت إلى المنزل في يوم وقد تعبت، فوجدت أبواي نائمين، ورغم أني تعودت في العمل على أن أتعشى وأعود إلا أنني لم أفعل تلك الليلة، وقد كنت اتضور جوعا، ومن سوء حظي لم أجد ما آكله، فبت وبطني تصدر أصواتا من الأنين الصاخب، لكن واسيت نفسي بالنوم، وكالعادة أستيقظ صباحا لأجد والدتي وقد أعدت طاولة الفطور، و لما أخبرتها عن ما حدث لي ليلة أمس قالت وهي ضاحكة:" أنت تحتاج الى زوجة يا بني". لكنها لم تكن تمزح فأنا أعرف أمي متى تمزح، ولكن جاريتها في هذا الأمر و خرجت الى العمل.

كان ذلك خيطا جديرا بأن يجعلني أغير مسار حياتي، التفكير الإيجابي في الحياة و ممارستها كما ينبغي، فأنا أصلي و أصوم و أحاول التحلي بأخلاق حميدة، لكن هذه الامور لا تنفع اذا لم أقدم في حياتي ما ينفعني في آخرتي، فصرت أفكر في الزواج، و لأحفز نفسي على جمع مال لأتزوج، صرت أبحث عن فتاة، و طال بحثي و عانقت السحاب لأبحث عن فتاة تروقني، أظن أن نفسي كانت جاهلة بجوهر الزواج.

وفي يوم جاء إلي صديقي وأخبرني بأنه سيبعث بي إلى متجر ما، طبعا لأوصل بضاعة فقط، وانطلقت الى ذلك المتجر، وحينما وصلت، حاولت ايجاد العمال حتى يستخرجوا بضاعتهم، لكن المفاجأة أن العاملين في المتجر كن نساء، و المتجر

**يهتم بألبسة النساء و الأطفال، وقد أخبرتني سيدة المتجر أن الشحنات دائما ما يفرغها الشاحن، ووجدت نفسي وحيدا، الحمد لله أن تلك البضاعة كانت خفيفة جدا، فالألبسة ليست شيئا يضر، وبينما أنا أخرج تلك السلع إذا بفتاة جميلة، لم أر أحسن منها، شعرت بتلك الرقة في كلماتها، و حلاوة في نظراتها، ووقفت أنظر إليها كالأخرق، قالت لي:" هل تحتاج الى مساعدة"، و كالأبله قلت لا لا لا أحتاج، وكأني أتكلم إلى فتاة أول مرة، شيئ غريب إنتابني حينما تكلمت إليها، و عدت الى محل صديقي، وحدثته بما حصل معي، فأخبرني هو كذلك أنني أحتاج الى زوجة، وهنا بدأت حكايتي حقا.**

**لم أنس ذلك المحل فصرت أتردد على طريقه، حتى البضاعة أمررها من ذلك الطريق حتى أرى تلك الفتاة، وكلما كان هناك طلب منها كنت أجري على قدم وساق لأفوز بالتوصيلة. وكنت كلما أوصل إليهم بضاعتهم أحاول أن أبدأ حديثا مع تلك الفتاة فعرفت إسمها "مريم" وعرفت أين تعيش ولماذا تعمل، لقد صرنا مقربين، ودعوتها أكثر من مرة لنحتفل و نتغذى معا، لقد كانت تقول لي أنت صديقي المقرب أما أنا فكنت أراها حبيبة لي وأنتهز كل فرصة لأخبرها بأن حبها تمكن مني، ولكن لم أتشجع بعد وكانت الايام تمر.**

**قررت أن أخبرها في ذلك اليوم، لكنه كان يوم وفاتي عن الحياة، لبست أحلى الثياب ووقفت أمام المرآة أتحدث إليها كالأبله، والتقيت بها و بدت سعيدة، فرأيت أن تلك السعادة ما هي الا للقائي، بل وتخيلت أن بهجتها نبعت من بعد طلبي لها، لكنها فاجأتني حين قالت:" بارك لي يا جواد لقد تمت خطبتي أمس".لم أعرف بماذا أرد لساني انعقد ولم أجد أن أفرح لها لأني أحبها ولم أجد لأن أزعل على خطبتها لاني لم اتقد لها من قبل. ومنذ تلك اللحظة صرت أبتعد عنها شيئا فشيئا حتى غبت عنها شهرا، فأردت أن أعرف أحوالها لذا سرت الى المحل الذي تعمل فيه، ولما سألت عنها قيل لي أنها رحلت عن المكان ولم يعرفوا وجهتها و ان المحل مباع لشخص آخر فهي لم تعد المالكة هنا، لقد وجدت نفسي أتعس شخص و أيأس انسان بل وصاحب أسوأ حظ كل مرة آتي فيها متأخرا، فقلت فغي نفسي لعلها تزوجت وانتهى الأمر، فعدت للمنزل خائبا وانقطعت عن العمل وصار صديقي يتصل بي فأخبره بأني مريض ولكنه يعلم أني أكذب فيقول لي حينما ترتاح عد، حتى صرت لا أرد على مكالماته، وصار والدي خائفين يترقبانني كل يوم ويظنان أن بي شيئا، فعزمت أمي أن تأخذني الى راق بالقران الكريم، و قال لي ابي اذهب الى الطبيب فلان ليكشف عنك، ولكني لم أكن أجيبهم فخوفهم هذا لم يحركني من مكاني، بل اني كنت أرى نغسي خاسرا فقط، ومرت الايام حتى صرت ما انا عليه الان و التقيت بك.**

**فقلت له متبسما لعل الله أراد بك خيرا ولعله يرزقك خيرا منها أو يجعل هذا اختبارا لصبرك ومسؤليتك وإنك لست ذاك الشاب اللامسؤول ولا اريد ان اراك تخسر في الاختبار، فقم واتصل بصديقك و اعتذر لوالديك وتماشى مع ما قدر الله لك و احمده انه أغناك به وبوالديك، وأحب أن أعرف ما سيحدث معك وإني لا أرى ما سيحدث إلا خيرا، وأنا واثق أنك شاب صالح، أنت الان غائب على الاختبار وصبر الانسان ينفذ و الله واسع عليم. نظر الي جواد و قال لعله كذلك، وقام من مقعده وسار.**

**أما أنا فخرجت من المسجد قاصدا البيت ،ولم أسمع خبر جواد بعد ذلك مدة طويلة، وفي ساعة من نهار وجدته يشتري بعض الخضروات من السوق، فلما رآني عانقني وبكى وبكيت لبكائه، وتساءلنا عن الأحوال، ومازلنا على هذه الحال حتى ذكرني بما حدث في المسجد آنذاك و قد استحييت أن أسأله، لكنه فتح فاه بالخير وقال لي أنه تزوج بتلك الفتاة وأخبرني بأن صديقه الذي عمل لديه رأى حاله من كثرة تردده على محلها فقرر أن يخبر والدته ليتم خطبتها له،فخطبوها له ووافقت من فورها إلا أنهم عزموا على اخفاء الأمر عنه، فحدث له من السوء ما حدث ولما استطال سوء حاله أخبروه فلم يلبث أن زفّ إليها وأرداها في حياته، وتفارقنا والسعادة تداعب قلبي لما جرى مع جواد، حقا إن هذه الدنيا لا تحتاج منا كل هذا العناء لكن يجب أن نبقى الى جوار الله فهو من يحكم أمورنا ويورنا سبل الحق.**

# اليتيمة

---

**ما أجمل لمة زمان أمام حكايات الجدة، تقص علينا رحلات الماضي وتسرح بنا في طيات الزمن، وتفتح عقولنا بأبهر ما صنعته العقول وأجمل ما صورته الاذهان، جلسنا الى الجدة تحاجي لنا وتحكي قصة من أعجب القصص، وتروي لنا أبهى الروايات قصة"سيدة" فتقول**

كان يا مكان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان في "دشرة" ما ولدت وسرّ بها والداها بهية جميلة لطيفة تنورت بابتسامتها أرجاء الغرفة القاتمة، ذات العيون البنية تسلى بها أهل الدار وتهلل بها الجيران، سيدة صنعت الحدث أيام ولادتها، كبرت سيدة يوما بعد يوم وتربت في كنف الطبيعة وفي حضن والديها مدة من الزمن، حتى حان موعد لقاء الوالد بربه، توفي أبوها فعانت قسوة فراقه وصارت تفتقد لركيزة الأبوة وسرعان ما نصب أخوها نفسه كوالد وأخ حاول تقديم شخصية الاخ الشديد الذي يعمل على بناء المنزل بكل قوة وحزم، وصارت تكبر الفتاة، وتزداد جمالا وعنفوانا، كانت سيدة تأخذ كل صباح قطيع الأغنام رفقة صديقاتها يلاعبن الحملان الصغيرة ويداعبن نسمات الفجر العليلة، ويبادرن تبادل القصص بينهن  ويتكلمن كبقية الفتيات عن شباب القرية، ويتبادلن الضحكات العالية في الاجواء الخالية، وأثناء الغروب يبادرن بالعودة تحت حمرة السماء، بتلك النعال البالية و عيدان الزيتون بين ايديهن يطوعن بهم اغنامهن، وتصل سيدة المنزل كل يوم بهذه الطريقة، تلك الايام التي تمر مثل الأفلام الكلاسيكية فقط ابيض و اسود، كل شيئ قاتم، كانت تبتسم تلك الشابة فاسمها سيدة و هي طبعا سيدة، ليس من السهل ابداان تعاني و انت اصغر من الحياة التي تعيشها، و ليس هناك ما سيبعد مخالب الشقاء عن عائلة فقيرة الا الله عز وجل، و ليعلم الناس ان الله يراقبهم و انه يحبهم فهو يذكرهم بذاته في كل حياتهم، فلعل الله ابتلى سيدة باوجاع متتالية حتى لا تنس ذكره، ماتت أمها بعد أبيها بأشهر، فصارت لا ولي ولا درع حامي الا ذاك الاخ الذي اشغلته المشاغل عن تادية واجب الابوة و الامومة فهو الاخ الذي يجالد فلا يمكن ان يتلطف حتى يقال عنه جبان و لا يقسو حتى لا يقولون جبار، فوجدت سيدة نفسها عند عمها تعيش لديه و ما اقسى ان تعيش في  بيت غير بيت و ان تنادي صاحب الدار بعمي و ليس ابي و ان تقول لامك يا "مرت عمي" انها القسوة الدنيوية التي تنشئ الرجال و التي تقومهم ليصنعوا و يبنوا بيوتا لا يبنيها من تغافل عن البلايا و استهان بالرزايا، عاشت تلك الايام بين اكناف عمها بين قسوة عليها لتنشئ ذات خلق و تربية، و بين لين حتى لا تشعر بتلك الغربة التي شعرت بها كل يوم، ولكن لم تدم اقامتها عند عمها لتقوم خالتها بجلبها، من الصعب كذلك ان يحس الانسان انه قطعة اثاث ينقل كل مرة الى مكان، انه ما لا يفكر فيه المتنعمون بالعائلة، لا يعلمون ان الانسان بلا اهل كانه ورقة متناثرة يجب جمعها لا اهمالها، و لكن اين تلك العقول؟

انها اليتيمة صارت تكبر و تزداد جمالا، عيونهاالجميلة، و شعرها الطويل، ابهرت شباب الحي باخلاقها قبل جمالها، لا تكلم احدا و تستحي ان ترفع عينيها حتى في جارها، كيف بربكم ليتيمة ان تفسد اخلاقها الا من اشتهت الحياة الدنيا و ظنت ان

اللعب و اللهو سيسد ثغر فقدان الاهل، لا يجب ان نتخاذل عن اخواننا اليتامى حقا و لا يجب علينا ان نفكر في ان اليتامى منحرفون، لاننا نحن المنحرفون من ننعم بالاهل و الامان، صعبت الحياة مع تلك الخالة، فهي لاتعوض حنان الام، و لا تدفء برود القلب و لا تجفف دمع العين، و لا تخمد نار الشوق، و اي مسد يسد عطاء الام "نبع الحنان" كما تغنى الرواة و الشعراء، لا يمكن ان تتخيل و انت بين والديك ان تعيش مع خالتك و تقول لها يا خالتي اريد كوب ماء في منتصف الليل حتما ستستحيي او تخاف ردة فعل الغريب القريب، هل يا ترى سترد علي " نوض جيب روحك" او "انا لست بامك" افكار تدور في بطن العقل تشوش على التقدم في الحياة، لكن سيدة واصلت الحياة فهي تريد ان تعرف ماذا سيحدث.

وذات يوم تخرج سيدة من البيت متجهة الى الدكان الذي يبعد شارعين، اشترت بعض الحاجيات و همّت بالخروج، فرآها صافي و أعجب بها، و كما يفعل الشباب حاول معاكستها و لكنها ابدت انزعاجها و خوفها، تبعها صافي حتى وصلت المنزل، فعاد و في قلبه جمرة حب لهذه الفتاة التي سلبت عقله و تيمت فؤاده، أما سيدة فعادت للبيت و اغلقت الباب ووقفت خلفها خائفة مرتعدة ثم بدأت تضحك و تبتسم كالمجنونة، و لم تحاول ان تخبر خالتها خوفا من ان توبخها، و مر اليوم بسلام.

نسيت سيدة أمر الشاب ذاك فكأنما هو من باقي الشباب الطائش الذي يريد ان يعبث و يعاكس فقط، لكن تفاجأت لما رأته جالسا قبالة بيتها يرقب خروجها، هنالك ظنت أنها هلكت، فالفتى يتبعها ويعرف بيتها، من هذاالغريب و ما الذي يريد؟

كان صافي ورغم أنه ككل الشباب الاخرين الا انه كان كذلك قمة في الأخلاق، وشهدا في التعامل، فلم يتجرأ على الاقتراب من بيتها أو الحديث إليها، و صار كل يوم يأتي إلى نفس المكان و سيدة تنظر إليه من وراء الحجاب، فاستسلما للأمر الواقع و صارت تخرج للدكان و لا يزعجها و يعود معها ولكن في الجانب الاخر من الطريق و لم يتحدثا قط، ولكن كانت نظراتهما تتبادلان حوارات طويلة، لن يفهما المارون و لن يفهمها العاملون فقط أولئك العشاق هم من يفهمون تلك العبارات البصرية، فقط من يريد أن يفتح باب حلال من يستطيع اتقان تلك اللغة الجميلة، لغة العيون بين الحبيبين من أرقى اللغات ألفاظها معنوية، وهي تتجسد في الأفعال العالية الاخلاق.

لم تخرج سيدة يوما الى الدكان كعادتها وصافي ينتظر، جاء في الصباح الباكر و لم تمر، و انتظر ساعات ولم تظهر، فانتابه القلق و خالجه الشعور بالشوق اليها، فضعفت نفسه و صار يقترب من البيت ليسأل عنها، وهو لا يعلم أي جرم سيرتكب

لو دقّ الباب، يقترب تارة و ينظر وراءه، حتى وصل الباب فمد يده، فاذا بالباب يفتح وسيدة تهم بالخروج، و الخالة من ورائها، هنالك صدمت سيدة و جف الدم في عروقها و ثقل لسانها و ازدادت ضربات قلبها ووقفت ساكنة، أما صافي فلم يجد ما يقول و ظل مسمرا في مكانه، حتى تأولت خالتها الموقف و قالت : ماذا تريد يا هذا ؟ فردج عليها يا سيدتي انا أجمع الاثاث المستعمل و الذي لا يحتاجه الناس فاذا كان لديك شيئ لا تستعميلنه اخذخه منك، فقالت له انه لا يوجد ما يبحث عنه، و سيدة من وراء خالتها تبتسم من الموقف المحرج. و مر الامر بسلام .

وسارت باقي الايام كما عهدوها ثم اختفى صافي من المكان و لم يعد، فمرت الاسابيع و سيدة ترقب كل يوم ان يعود طيف الفتى الذي احبته بعينيها و جرى مجرى الدم في عروقها، و لم يعد، حتى تبدل حالها و هزل جسدها، و خارت قواها، و استسلمت للارهاق و المرض، فسارت خالتها تقلق من ما يحدث لها، و عادها اخوها و اشفق لما آلت إليه، و في ذلك الامر نستذكر من لا ولي له الا الله يمرض فلا يجد يد الام و يشقى فلا يحمل عنه العناء احد، ذلك ما عانته سيدة مرضت فلم تجد العين الساهرة و الحنان الذي تحتاجه لتبرأ، انها قسوة الحياة مع المعاناة و نعم التربية بلا أب و أم يكملان مسيرة الحياة معها، و هو الأمر الذي يقدره الله و يقضيه بأن يحفظ من يشاء و يربيه نعم التربية، فالله لا يفرط في خلقه، إنه يردعنا عن المساوئ و يدفعنا الى المحاسن، ولكن أنفسنا لا تريد الا متاع الدنيا، و صارت سيدة هزيلة الجسد ضعيفة القد، ورغم كل ذلك الا ان الخالة كانت تجدها مرارا في المطبخ تغسل الاواني او تنظف الارض او تقوم باعمال المنزل المرقة فتنهرها بنبرة الخوف و الشفقة عليها بان تتوقف، لكن سيدة ليست تلك الفتاة التي تهزها المصائب و هل فقدانها لوالديها هزّ من رباطة جأشها و أغفلها عن ممارسة الحياة التي ارادها الله لها، و في ظل هذا الاستسلام و بين آهات الآلام، دق الباب داقٌّ، فهمت خالة سيدة لفتح الباب، و انها المفاجأة شيخ و عجوز و فتى معهما، يدخلان من الباب و الخالة تزوق في الترحاب، و سيدة لا تعرف بما يحدث، فالفتى ما كان الا صافي و العجوزان ما كانا الا الوالدين، فضيفتهم الخالة أحسنت اليهم، فأخبروها بأنهم قدموا لخطبة بنتها، فسرت بالامر و شكرت سعيهم و أخبرتهم بأنها كابنتها ولها اخ ستسأله و ستسألها، و انها مريضة و لهم ان يعودوا لها في ما شاؤوا من الاوقات، فتفاهموا على يوم من الايام.

أما سيدة و بعد خروج اهل الفتى صافي، سألت من جاء فحكت لهاالخالة ماحدث بالدار، فتساءلت عن الفتى فقالت لها يقال له صافي، فظنت انه من كان يأتي قبالة بيتهم فسرت و تمنت ان يكون هو و عادت الحمرة الى وجهها و سارت النضرة في جسدها و تعافت الفتاة فكانما لم تصب بأذى، حتى احتارت في شأنها خالتها و

**تساءلت عن ما بها، و جاء الاخ و تساءل عن ما وصلوا اليه، و جاء اليوم الموعود و عاد اهل الفتى، فرأته سيدة من النافذة فاغمي عليها من الفرح و السرور و الخالة تجري بالعطر وماء الزهور، فجلس اهل الدار و اهل الفتى، فتم التوفيق و اختاروا يوم التوثيق.**

**ان سيدة و صافي عاشوا حياتهما كأي زوجان فأنجبا أطفالا كانهم الاقمار و بنوا بيتهم بحب و سرور و كأي بيت من البيوت، تتعثر العلاقات مرة و تزدهر، و هذا من فضل الله أن وفق سيدة لأن تعيش في بيتها مع زوجها، ورغم الشدائد ورغم كل ما يحدث فسيدة صامدة واقفة في وجه كل أمر عسير، فتحية لمن كانت او كان في مقام سيدة و حمد الله على نعمه.**

# صديقتي من العاصمة

---

**بعد أن مر شهر الصيام و تغافرنا مع الجيران و الاصحاب قررت انا و عبد القادر السفر الى عاصمة الجزائر، في صباح يوم 23 حجزنا تذكرتين باتجاه المحروسة، في النهار ظللت نائما بين جدران غرفتي اتمتع بالمنظر الذي ساشتاق اليه مدة من الزمن و انا اعانق نظرات امي التي لم ترد مني السفر، ماذا تفعل يا انسان ؟ انها الام ذات الكبد الارطب و القلب الارهف العين الدامعة في الاحزان و الافراح،**
**توسدت يومي بنوم رقيق وفي المساء أعددت العدة و مهدت للخطة و اقمت في البهو اتراشق خطاي فيه اعدد الاشياء و ازيد و انقص حتى حان موعد الانطلاق.**
**21:00 انطلقت بعد ان ودعت تلك الحبيبة تلك الام الرائعة و كان قلبي يقول انت مفارق لامك لمن تتركها ؟ ولكن اعلم بان الله حاميها و ابي و اخوتي لن يفرطوا فيها، أوصلنا الوالد الى المحطة البرية في مدينة مغنية وودعناه.**
**وبعد مدة من الانتظار قرر السائق الانطلاق فأخذ كل شخص مكانه ولم يصر بيننا وبين العاصمة الا 14 ساعة.**
**كانت الطريقة طويلة و الحال من المحال ان يساعد على المنام فتقلبنا تارة و نمنا تارة و كنا ننزل في توقفات الحافلة ونواصل اذا واصلت، وصلنا ندخل ولاية و لا ندري أين نحن حتى ندخل اخرى وهكذا سرنا وتنقلنا.**
**في صباح اليوم الموالي 24 جويلية 2016 الساعة 8:00 ،العاصمة، انتقلنا من حافلة الى حافلة اخرى لتنقلنا بدورها لخروبة و سرنا مدة من الزمن لنقترب من نواحي القصبة.**
**ساعة من البحث في اول النهار عن مصير اول الليل انه البحث عن المبيت.**
**تجولنا في مساحة واسعة من العاصمة و التعب مسيطر علينا. الشرطة في كل مكان المحاكم و المؤسسات الحكومية الكاميرات و الاعلام و الطرقات و القانون المسيطر مكان اخر في الجزائر الواسعة، لهجة مختلفة و اناس مختلفون كأنك لست في بلدك اذي جئت منه قبل 14 ساعة، لولا تلك المساجد و اللهجة العربية لما قلت انا في عاصمة بلدي.**

ساحة الشهداء، آخر مكان لنا في البحث الطويل في نزل البدر لصاحبه ذو الكنة التونسية أظنه كان من عنابة، سعر مناسب و غرف مناسبة لن نفوت هذه الفرصة، نزعت حقيبتي من ظهري التي كادت ان تقصمه و رميت بنفسي على السرير ثم اتصلت بوالدتي : الو امي وصلت، فرحت تلك الام بصوتي حتى انها كادت لتعانقني من الهاتف، أو هكذا احسست لانها امي.
وسرعانما خرجنا انا وصديقي لنتجول في اجزاء العاصمة الصغيرة على الخارطة الكبيرة في الواقع، انتقلنا الى المقهى، ما ألذ القهوة في العاصمة انها تزف رياح الخمسينيات من القرن العشرين، وبعد مدة ذهبنا باتجاه مركز بريد الجزائر grande poste وهناك حدث ما لم يكن في الحسبان .....
اتصلت بفتاة تعرفت عليها في الانترنت و قد كنا نتحدث ساعات طوال نتمازح و نطلق النكات ولم نكن التقينا من قبل، وكنت قد اخبرتها باني قادم الى العاصمة فرحبت بي بصدر رحب، و حين ردت على الهاتف اخبرتها بمكاني فاعلمتني انها قادمة، لحظات تدك المواقف و تعصر الشجون هي تلك الهنيهات التي ننتظر فيها اصدقاءنا الذين سنلتقيهم ذات يوم، ورغم اننا قد كنا تعارفنا في مكان ما الا ان غربة موقف اللقاء وجها لوجه ستجعل الشعراء يتلعثمون و الادباء يتخبطون، و الخطباء يلجمون، انتظرنا انا و عبد القادر تلك الدقائق و هي قادمة تراسلني الرياح و تاتيني بزفيرها، تلامس عيناي صورتها كل لحظة، وبينما نحن ننتظر قررنا ان نزور في الرصيف المقابل احدى الفعاليات،وفيه اقيم اسبوع ثقافي للتعريف بتراث البوليساريو ( الصحراء الغربية) فوجدنا الامر جميلا حيث ان خيمة قد نصبت و جلس فيها مجموعة من الصحراويين وفي ايديهم فناجن الشاي و حولهم جلد الغنم (الهيدورة) و في الارض مفروشة زرابي من حرير او هي مثل ذلك بينما في خيمة اخرى توجد ادوات تقليدية للصحراويين و علم صحراوي اخذت صورة به، ومن ثم انتقلنا الى رصيف مقابل اخر وجدنا فيه مجموعة كبيرة من الباعة بضاعتهم عبارة عن كتب مستعملة باللغة العربية والفرنسية، مكان رائع ساشتاق اليه كلما نظرت الى صوري فيه و كلما تذكرت ...، انها سعاد اتصلت لتسال اين نحن و ظننت اني المحنك فقلت لما لا اخادعها فسالتها اين هي حتى ردت انا انظر اليك، وكان في نيتي ان اجلس و اتركها تبحث عنا لكنها كانت عاصمية رغم كل شيئ.
التقينا و كأننا التقينا قبل سنوات و لم يزل اللقاء بينن، لا اعرف ما حدث بالضبط ولكن كانت ذات رونق اخر أحببت تلك العفوية التي صحبتها من اول كلمة بل من اول حركة قامت بها معي لقد جعلتني ارتاح لافعالها و اقوالها.
كانت هذه ارهاصات اللقاء وبدأنا الرحلة في العاصمة و في طول المدة نتجاذب اطراف الحديث و أسألها لماذا لا تتكلمين كالعاصميين، فتقول انها ليست من العاصمة، انها حقا فريدة جمعت غرب الجزائر بشمالها، تلك الضحكات التي كانت تلقيها لازالت تغرد ف اذناي، تلك النحيلة التي اهلكت نفسها بصيام بلا اجر كنت اخاف عليها من تفتت عظامها قبل قلبها رغم ان انكسار القلب اصعب، ولكن المهلك حقا ان تكسر صحتك و قلبك فلا تجد من يعينك على سد رمقك، نظراتها تحمل الكثير من الالم و بهجتها تقص الكثير من الاحداث الموجعة، كانت تضحك

**من كل قلبها رغم اني كنت في مرات عديدة اسخر منها و ليس لازدرائها ولكن امزح و هي دائما تضحك و تبتسم غير مبالية انها الاحزان، من الطريف انها لا تحب شرب الحليب ولكن قلبها صامد و صلد في مواقف الصعاب و هو لين ورطب ينام فيه من تثق فيه، ثم قررنا العودة للنزل بعد ان قضينا يوما رائعا وعادت هي المسكينة الى منزلها البعيد و في اليوم الموالي ذهبنا الى مقام الشهيد، و فيه قصة طويلة ....**

**تلك الذكريات ستخلد العلاقة التي جمعتنا، و اذكر قصة طريفة حدثت لنا لما ركبنا في الحافلة حيث قال الخادم بولوغين وبدأ ينادي بها فقلت له : بوغرارة !! فلم يفهم علي هو و لا من كان يركب، بينما ضحكنا انا وصديقي، ثم اخبرته ان يقلق فبوغرارة بلدية تقع في الغرب و بها حمام من اشهر الحمامات، و ذهبنا نستكشف العاصمة و معنا سعاد او كما يحلو لها ان تسمي نفسها "الجابونية" قبل ان اقص رحلتنا الى مقام الشهيد دعوني اخبركم عن "الكنيسة" كاتدرائية نوتردام أفريقيا او السيدة الافريقية، لقد ذهبنا لتلك الكنيسة، امام كل بيوت الله التي يذكر فيها اسمه تشعر بتلك الراحة، لقد تجولنا حول ذاك المكان الذي يحرسه مجموعة من الشرطة، فالمسيحيون أحرار في الجزائر و لا يتعرض لهم احد و هم آمنون و لو لا ذلك لما استدعى الامر رجال الامن يسهرون على حماية كل شخص لا لمعتقد يعتقده و انما الانسانية تجوب انفسنا، انتظرنا قليلا حتى رأينا قسا أسود دخل الكنيسة وقد ساق سيارة قديمة، فدخل ودخلنا من بعده كاننا ندخل الى متحف رائحة العطور تلك كانها تذهب بعقلك، و تجعلك في عالم من الايمان المقدس، نعم انه الايمان الذي يحمله المسلم اتجاه كل الديانات السماوية و المسيحية دين سماوي يأمر بعبادة الله وحده فكيف لا نشعر بالامان في بيت الرب، في المدخل على اليمين مكتب صغير فيه امرأة اجنبية مبتسمة دائما عيناها خضراوتان و هي بيضاء تصفيفة شعرها مثل الذكور عجوز كبيرة في السن ولكن النظر اليها يبهجك فهي لا تبدي أي غضب او حزن و لا تتكلم الا بالفرنسية، دخلنا مباشرة الى قاعة الصلاة المليئة بالتماثيل و الصور لمن يظنونه المسيح عيسى و هو على صليب تعلو رأسه حلقة من الزهور و جسمه العاري الضعيف و لا تستره الا قطعة قماش في وسطه و الدماء تسيل من جسمه كله، ذاك ما يسمونه ببركة الصليب أي ان المسيح منح بركته في الصليب حين وقع فيه اسيرا و قتل عليه، و انه خلص امته المسيحية من الاثام و العذاب حين دفع ثمن اخطائه، و زدنا في تجولنا و كانت صور العذراء مريم تملأ المكان و تلك الثريا الجميلة المضيئة بينما في المقدمة توقد شموع صغيرة لا اعرف ماهية طقوسها، لكن سعاد الفتاة الشقية حاولت ان تشعل احدى الشمعات، لكن ذلك الرجل قام بنهيها بصمت و ذهب الى مكان ليس ببعيد و احضر شمعة جديدة، و اخبرها ان تشعلها، اظنهم يتمنون شيئا لما يشعلون تلك الشموع، بقينا نبتسم فيما بيننا، ولم يكن همنا**

ان نفسد شيئا ولكن زرنا بيتا لله ليس كبيوت الله التي نعرفها ولكنه من دين اخر، لقد كان ذاك الرجل عربيا و هو جزائري مسيحي قمت بسؤاله عن الانجيل فاخذتي الى غرفة المكتب الذي تستعمله تلك المرأة، فدخلت و قلت السلام عليكم و ردت "بونجووووغ" و هي لا تزال مبتسمة و بادلتها بابتسامة نقية صافية، فسالت عن ثمن تلك الاناجيل فصار ذاك المسيحي يعدد هذا ب الف دينار و هذا بخمس مائة و هذا فيه يوحنا و هذا مختصر لوقا و هذا به الاناجيل الاربعة و التورات العهد القديم و التلمود فهممت ان اشتري تلك السخة الورقية، و اذا بعبد القادر و سعاد يمسكوني ظنا منهم انها قد تؤثر في، فمنعوني من الشراء فاحسست انهم قد ارتابوا في امري فتراجعت عن القرار، لكن ان تجمع العاصمة بين الدين و السياسة وسط تعايش سلمي لمختلف اطياف المجتمع فهذا ما يبني المجتمع المتماسك، الثورة التي احيتها الجزائر عاشت في عقول الاحرار اصلاحا، جميل انك تلتقي باليهودي و النصراني و المسلم و هم يحتسون القهوة ويتكلمون عن عن جمال حديقة الحامة، أو ترى الامازيغي و العربي يعملان معا في البناء و التخطيط لمستقبل الجزائر، تلك هي بنية المجتمع الحضاري الذي يؤمن بالعقيدة السليمة التي تنهى عن الفساد و تأمر بالمعروف حتى لمن يخالف ديننا ولا يتعرض لنا بسوء و الآن حان موعد الخروج وذهبنا في طريقنا الى مقام الشهيد.

حينما كنت انهض صباحا في المنزل، أجد بشاشة وجه امي فكانه أذكار الصباح، و لكن في العاصمة نهضنا انا وصديقي وسبقته الى الخارج لاجد سعاد تنتظرني، لقد بعثت دفئا في الصباح الباكر، تلك السعادة في عينيها لم اعرف من اين حصلت عليها، غير أنني أعلم انها سعيدة بصحبتنا أو لما كانت لتاتي الينا و تذهب معنا، أظنها كانت تثق فينا ثقة عمياء، كدت أناديها "حبيبتي" رغم انها تستحقها إلا أنني لا أستحق هذه الفتاة، فهي لا يجب ان تخدع و لا ان تتألم، يذكرني هذا بفاتنة سمراء لم يمر علي يوم إلا تمنيت أن أستنشق الهواء الذي تستنشقه، ولكن سعاد كانت معي و غابت تلك، بلكنتي المغناوية و لكنتها الغربية صنعنا قصصا جميلة في عاصمة الجزائر، حتى جاء عبد القادر الذي كان قد كسر نظارته فنزل مغتاظا، و انتقلنا الى محطة تافورة...

دخلنا المحطة وسرنا من الوسط الى محطة "المعدومين" في حسين داي و عدنا الى الحامة في العناصر، ارخبيلات الشبكة انها العاصمة يا سادة، كل شيئ يمشي كآلة، ان الناس هناك يسابقون الزمن،فرأينا شموخ المقام في الاعلى انه يرمز لشموخ الشهيد، فاستقلينا تيليفيريك المقام التذكاري ووصلنا الى باحته الواسعة مساحات شاسعة مدينة اخرى أخرى في مدينة الجزائر، معارض دكاكين، الكل يلتقط الصور الكل مسرور انه العالم المثالي انها افلاطونية الجزائر، من كل

الولايات يحجون الى مقام الشهيد، تباطأنا لتأخير زيارة المقام و نحن في ساحته لكي يبقى لنا كل الوقت له، و اتجهنا نحو متحف المجاهد، أن ذاك المتحف عالم مغاير، عالم الجزائر من الصفر الى 1962 أو اكثر، ترى فيه اجدادك من الامازيغ ومن العرب و المجاهدين و المقاومين، اثار الجزائر نوميديا الى البايلك ثم الحكومة المؤقتة فالجزائر الحرة، لباس الثوار و أسلحتهم،إنجازات سنون العز و الجهاد ضد المستدمر الفرنسي، ستعيش الجزائر الطاهرة بلا مشاكل طرقات و لا مشاكل سكن و لا أزمات دبلوماسية و لا حركات عسكرية، ستعيش الجزائر كما يجب أن تعرفها طاهرة من ذنوب و خطايا سكانها، مجردة من ألامهم و حزنهم، و صامدة في وجه انشقاقات التاريخ، تلك الصور تلك الادوات تعبر في صمت عن ما يخالجها و تروي التاريخ باعمال العظماء من اهلها، خرجنا من ذاك المكان و رائحة التاريخ الطرية، ملتصقة و ثابتة في جلودنا لانها تتغلغل عبر القماش و تسري في الدماء، من لا يحب الجزائر لا يحب صديقه من الجزائر و لا يحترم صديقته من الجزائر، لانه اناني لا يحب احدا و لانه مجرد خائف فلن يقول احب الجزائر، و كلما عشنا وكلما سرنا غرقت ارجلنا في دماء الشهداء، فكل الدماء نجاسة الا دماء الشهداء دماء زاكيات طاهرات في الجبال و في السهوال و في الهضاب و في المدن و في كل مكان، و اتجهنا الى ذاك المقام ذاك الصرح العظيم، مشروع اناره الراحل هواري بومدين و اقامه شاذلي بن جديد سنة 1982 وبمناسبة الذكرى عشرون لاستقلال هذا الوطن، هذا الارث الذي كابد المصاعب بأبنائه و باع اهله حياتهم لله حتى يعيش ابناءهم في رخاء، مقام الشهيد هو دائما تلك الذكرى التي تخلد 132 سنة من الاستدمار بل من الصمود و البقاء، جزائر الهمت الشعراء و القت بقرارها الى العالم فاحتارت الامم في هذا الشعب الابي في هذه الامة القوية، ولم يقوها الا الاسلام و لم يصنع قرارها الا الله، لان هذا الشعب اخلص لله.

كنا نمشي انا و سعا تارة و نلتقط الصو تارة و هي سعيدة، شساعة الموقع كانت اضيق من خاطرها ذاك اليوم بل ان المحيط لن يسع ذلك السرور، كنت انظر اليها عدة مرات، و اتأمل في جرأتها و ابحث في ما تخفيه، الحقيقة اني اخاف عليها، كنت اتمنى لو اني اراها كل يوم حتى اصرخ في وجهها " لا تفعلي هذا" او انظر اليها نظرة استياء من فعلها او قولها، ليس تسلطا و ليس تجبرا لكن هو الاهتمام بمن نحب، فلا يمكن ان نترك مجالا للدموع نسطر الواقع و نرقع الممزق فلا نريد سقوطا، سعاد فتاة رقيقة، لقد عرفت انها سريعة الانكسار، سريعة البكاء لكن ... ليس أمامي و ليس امام أحد، انها تبكي وحيدة، ربما تبكي و هي نائمة على سريرها و تستمع الى موسيقاها، تعشق الموسيقى فهي صديقتها الوحيدة، كل يوم تحتسي فنجانا من القهوة و الموسيقى في اذنيها، و قلب منفطر وخاطر منكسر،

**ودمعة في العين تنتظر تلك الوحدة، تنتظر الليل في غالب الاحيان، أهذا حقا يومك ؟ لن تجيب لأنه حقا يومها.**

**في ذاك اليوم كانت لتنسى كل ما لديها من مشاكل لربما لم يلاحظ عبد القادر صديقي ان صديقتنا سعاد لربما تعاني لانها كانت جد بلهاء و احب ان ادعوها بالبلهاء لانها بلهاء، لكن احب بلاهتها فهي تكشف ما في قلبها دون ان تدري، انا ارى رسائل في بلاهتها، و افك شيفرتها لكنها لا تسمح لي بان اساهم معها في افكارها، لربما تحب الالم لكني لا احب ان اراها تتالم، لا أحب ان ارى أحدا يتألم، المعاناة خانقة، انها كحجارة مقام الشهيد جامدة لا تتحرك وصاحبها كطول المقام في السماء شامخا ولكنه مبني بآلام امة، و يحيي آلام امة، الجميل فيه انه يبعث على الحب و السلام و لكنها تريد الموت بلا معنى لحياتها، هكذا نزلنا من ذلك الصرح الى حديقة التجارب الحامة و في بنات افكاري سعاد تتراشق بكلمات اشقها شقا، عندما تنزل في التيليفيريك ترى ضآلة حجم الانسان و تعي حقا ان عقولنا اصغر من حجمنا حقا و ان حجمنا اصغر من غرفة التيليفيريك و ان تلك الغرفة اصغر كذلك من حديقة الحامة... و لا اريد ان اخبركم عن الاصغر الى الاكبر لاننا سنخرج من الارض و نتجه الى المجرة، ولكن ما احاول قوله أننا يجب أن نفكر حقا فيما نحن عليه و ان قوتنا تكمن في وحدتنا و تلاحمنا، و الابداع سيظهر بفضل ذلك الموقف، من الاعلى ترى الناس نقاطا في الارض حتى تلك السيارات تقول في نفسك : تلك تقلنا، و تلك تقتلنا؟**

**المساحة الخضراء ترسم لك جوا لطيفا و تجعلك مرورا، ان الاخضر رمز للسلام حقا، ورمز للامن و الاستقرار، هذا ما نرجوه دوما للجزائرالحبيبة، لا الوم اولئك العاصميين على آليتهم فهم تعودوا ان الوقت قاتل، بينم تعودنا على أن الغد قادم لا محالة و لم نعي أبدا ان غدا سيكون بدوننا ذات يوم، رفقة سعاد و عبد القادر سرنا في ادغال الحامة، حديقة التجارب، عائلات اهازيج مطاعم اشجار و مجاري مائية، انها الغابة في العاصمة افضل مكان تشعر فيه بالطمانينة بين الاوراق الخضراء المتناثرة، لن تكتفي فيه بحضن امرأة و لا ابتسامة متفائل بل ستسير في ظل اشجاره و تقول هل هذه جنة الجزائر، اسمع انهم يقولون ستعيش الجحيم في الجزائر، لكن عشت احدى افضل لحظات حياتي ليست كالجنة و لكنها حقا ليست الجحيم "أبدا".**

**كنا نمشي و نلتقط الصور و نسخر و نمزح، و كانت سعاد دائما تبتسم، و تضحك، رنين ضحكتها يداعب مسامعي و انا اكتب هذه الحروف و كأنها بجانبي تضحك، أظنني تأثرت بتصرفها، عفويتها الهمتني كثيرا من الاشياء كنت غافلا عنها، لكنها**

أزعجتني بأعمال لا اريدها ان تتخلى عنها و لكنها تفعل، في دعائي اتمنى لكل اصدقائي الخير و سعاد واحدة من الاصدقاء الذين ارجو لهم دائما الخير، ليس لانها فتاة و صديقة، بل لانها سعاد فقط. لا يجب على المرء ان يكتفي بالاطلال من الشباك و يبكي على الراحل، انما يجب عليه ان يستعيد ما رحل عنه، و الا فلن يبقى هنالك أي لذة للعيش و لن تدوم تلك الآلام، فألام الاحباء ممتعة اذا صمدت محبة بعضهم، و الا فلن نعد الفرقة نتيجة الخصام بل هي نتيجة عدم التوافق و الصدق في الحب بين الطرفين، لا تقل أبدا أن ذاك الحب مؤلم لأنه ليس مؤلم الارواح تتألم و لكن الجسد يبقى جسدا ثقيلا فقط بلا روح، سعاد تحب كل الناس و هي تتألم ولكنها لا تتألم بسبب ذلك الحب، في كل حركة أتألم كذلك و لا اساس لمبدأ الحب و الالم في الامر، و عبد القادر يتألم كذلك و لكن لا يتالم بالحب، لان الحب سلام، صديقتي من العاصمة انها من الجزائر البيضاء رمز الصفاء و النقاء و رغم ما قدمت من دماء فانها ظلت و اصرت على البقاء بيضاء.

و سيحين موعد الرحيل قريبا و الشوق للعاصمة و الشوق لسعاد و ابتسامتها بدأ قبل ان يكتمل الامر ...

اخر ليلة في العاصمة

الساعة الثامنة صباحا في محطة القطارات الجزائر العاصمة، لحظات قبل انطلاق القطار نحو وهران، أعيش رفقة شوقي لهذه البلاد، محاولا جمع كل ذكرى طيبة، ملوحا بمصورتي، في كل اتجاه، انها العزيزة التي لا تريد ان تفارقها، لكن لابد لك من ذلك، في هذه المرحلة ورغم اني كنت عازما على العودة الى مغنية الا انني علمت ان امي كانت مريضة وصارت طريحة الفراش في المستشفى، فقلقت من هول الخبر و اتصلت بوالدتي التي قالت ان ليس هناك ما يدعو للقلق، ولكن بربكم لا تقلق و انت تنفصل عن نفسك حولي 700 كلم، انما بعد اتصالي بها ارتحت و هدا بالي قليلا، ثم واصلت تشدق الذكريات، اتسول بركة الزوايا في مدينة الجزائر، التي في كل معلم من معالمها تحكي الثورة، و رغم ثورة كانت في قلبي الا انني تماسكت، و انا اذكر ليلة امس اذكر ذاك الامس، يوم رائع اخير رفقة الفتاة تلك، رفيقتنا تلك المجنونة التي رسمت خريطة جديدة في عقلي و سرحت في قلبي، انها التي رسمت تلك المتاهة في حياتي فلا استطيع التمصل من التفكير في حياتها لا ادري ما الذي يجعلني افكر فيها، لربما لانها كانت صديقة مقربة في اقصر وقت، أم انها شغلتني بحكاياتها، ايتها العصافير احملي سلامي الى العاصمة و اخبريها انني وصلت بسلام، ايتها الغيوم احملي انفاسي فما عدت اطيق شوقا لعودة الى تلك البقعة، يا جزائر احمليني و ضعيني في تلك العاصمة اشم نسيمها و اسهر على

**قمرها و انام في هدوئها حتى اصبح في غمارها، انها تلك الارض و انها تلك الصداقة، بل ذاك هو الحب العفوي الذي يجدر بنا ان نقدمه لا التضحيات الحمقاء التي تجعلنا مفترسين، هكذا انتهت قصتي مع صديقتي و لكن لم تنتهي صداقتي في قصتي، لما كنت في تلك العربة ظللت اشاهد في النافذة العاصمةو هي تزول، و هي تتراجع، وكان مشاهد الفيلم تعود و تحترق لكي لا اشاهده الا في مرحلة اخرى و لا استرده الا في سنوات قادمة، بلحظات احلى بما تحمله الاشواق من معنى، سلمت من ولدتك و امنت روحك باذن الله يا عبير الصداقة لن انساك ما دمت حيا.**

# رحلة ميّت

**قمت في الصباح وتوضأت ولكن الماء لم يكن كما عهدته فصليت، ومررت على امي التي كانت تعجن ، و صبحت عليها و انا ابتسم، لكن لم ترد علي وظننت انها لم تسمعني وجلست اردد بعض الايات التي احفظها، واشتقت لامي فذهبت اليها:**

**-يا امي كيف اصبحتي، وهي لا تجيب.**

**-امي انتي غاضبة مني، وهي لا تجيب**

**-أمي هل فعلت شيئا ازعجك، وهي لا تجيب مشغولة بعجينها.**

**ثم استدارت وتبسمت في وجهي، فقلت منورة يا امي لماذا لا تجيبين**

**-فقالت: لماذا استيقظت الان !**

**فهممت بالرد عليها: قمت ... ولم انهي الكلام**

**فجاة شخص تحدث من ورائي فاجابها :(بكسل) قمت لاصلي الفجر**

**رباه من هذا الذي تكلم من ورائي، استدرت لاجد ابي**

**-فقلت :على الاقل سلم فقد اخفتني يا ابتي، وهو كذلك لم يرد**

**فغضبت وذهبت الى الحاسوب ولكنه لم يشتغل فظننته فسد**

**حتى سمعت امي تقول: هل صلى زكريا؟**

**-فناديت نعم يا امي**

**فسمعتها تمشي في الرواق وتدخل غرفتي وتنادي بصوت هادئ: زكريا زكريا**

**وانا خلفها اقول ما بك يا امي ها أنا ذا وراءك**

**فنظرت خلفها و دخلت الى الغرفة و وقفت على فراشي و نادت مرة اخرى : زكريا ، زكريا !**

**و انا خلفها اتكلم ما بك يا امي ماذا يحدث لك انا خلفك عن ماذا تبحثين في فراشي ؟**

**انحنت امي الى فراشي و كانها تهز شيئا ما و تقول : يا ولدي قم لتصلي ارجوك، يا زكريا قم يا بني لا تمزح معي هكذا ، قم قم !!**

**و انا في باب الغرفة يحترق قلبي و انا انظر لها و هي تفعل ذلك و اقول يا امي هل جننتي ؟ هل ذهب عقلك ؟**

**و نادت فجاة : ياا زكريا يا ولدي وبدأت تصرخ**

**قام اخوتي و هرع ابي الى الغرفة و انا اقول لهم : لا بأس اهدؤوا اظن ان امي غاضبة فقط**

**ولكنهم لم يأبهوا لكلامي و انطلق اخوتي ينظرون فاذا انا ممد على السرير.**

**جف الريق في فمي و احسست ببرودة في اطرافي و ليست كالبرودة التي اعهدها و غمرني الفزع و ناديت من هذا ؟. من انت ؟ اين انا ؟ امي ابي اخوتي انا هنا من هذا انه شيطان انه يتمثل بي فقط ها انا هنا. ولا احد يستمع الي و لا يلتفت احد لي، و بدات امي تمسح على وجهي و هي تتكلم معي و انا خلفها واقف اقول : نعم يا امي استديري فقط، و هي تمسح و تبكي وتنوح و تعدد، و اخوتي يبكون حتى عبد الرحمان احس بخطب ما فبدا يصرخ و قد استفاق من نومه الملائكي عند الفجر ،و امسك ابي على رأسه لا يعرف ماذا يفعل.**

**أنا ميت، وذاك جسدي و استسلمت و انا انظر لنفسي واقفا و لا ارى جسد ممد جثة رطبة بدأت تتصلب و عيناي مغمضتان و لون اصفر لا دم و لا عرق لم اعرف حتى اني توفيت،**

**صعد الجيران و جاؤوا الى العائلة المصابة يقدمون يد المساعدة فهم يفعلون ذلك دائما،**

**لما بزغت الشمس بدا الناس يحضرون يعزون و يثنون و انا واقف في الباب انظر الى تلك الوجوه بعضها حزينة و بعضها لئيمة يريد الاستفسار فقط كيف مات و لماذا مات ؟ و اخرون يعرفونني و لا اعرفهم، شغلت اختي القرءان الكريم فذهبت الى امي ولكن وجدتها حزينة دموعها تجري كانها انهار تسقي المقلتين فشق علي منظرها عانقتها و هي لا تحس بذلك و بكيت لحالها و خرجت فوجدت ابي و كأنه يجالد ليخفي حزنه فقلت : يا ابي و هل القرءان الكريم يشغل الا في الاحزان ؟**

وبينما انا اكلم ابي و هو لا يسمع طبعا، دخلت عمتي و التي كانت تحبني حقا فهي ربتني مع امي و اذا بها تصرخ و تنوح و تشق و تندب فخرجت مسرعا امسكوها، امسكوها لا تفعلي ذلك و انا ملتصق بيديها لا استطيع اخضاعها حتى خرجت امي و تعانقا و صرخا، و زادت علي ظلمة المنظر فقهرني الستار و انا اريد اسكاتهم لقد آذوني ببكائهم الصاخب فليتهم ضحكوا و ما بكوا لكان اهون علي ذلك المنظر، ومن بعيد بدات المح اصدقاء الجامعة حضر بعضهم يعزي مصاب عائلتي و قد استقبلتهم و انا اعانق مرحبا، مرحبا بالصحبة مرحبا.صديقي عبد القادر كذلك قادم فرحت فرحا شديدا وقفت امامه و قلت : لقد سبقتك و انا سعيد لانك حضرت ارجوك اعتن بامي و اخوتي و ساعد ابي في تدبر بعض الحاجيات فانا لم اعد موجود، كان يوما شاقا جدا قربت صلاة الظهر، اخذوا جسدي من قبل ليغسل، و غسلت و روحي تتبع جسدي فرايت ما رأيت و ارعبني منظري العاري و خفت من حالي.

ثم اذن المؤذن ...،و قامت الصلاة و ركع الامام فركع المصلون وسجد فسجدوا و سلم فسلموا

ثم قال : صلاة الجنازة على شاب .ووقف الامام و بعده صفوف في اولها ابي و اعمامي و اخوالي و بعدهم ابناؤهم و اصحابي و بعدهم اناس لا اعرفهم فصلوا علي صلاة لا ركوع لها و لا سجود ،و لما انتهوا حملوني على الاكتاف و خرجوا بي من باب المسجد نحو المقبرة ،فارتعد حامليّ و خفت المكان الذي اتجه اليه ، هل هو روضة ام حفرة ؟ و هل منكر و نكيرسيتساهلان معي ام انهم سيجعلانني اعايش جحيم اول منازل اليوم الاخر؟ و ظللت اتساءل و ادخل جسدي و احاول النهوض و انا ادعوا الله و اتضرع اليه بروح خائفة منه.

وبت اقول : هل يا ترى قبلت صلاتي ؟ و هل رفعت صدقاتي؟ و هل اجرت على اعمال قمت بها ؟ و هل زادت حسناتي ؟ لقد فعلت كذا و كذا و عملت اشياء حسنة هل هي مقبولة ؟ ثم تذكرت المعاصي و الذنوب و بكيت و تساءلت هل كنت اتوب ؟ ووصلنا باب المقبرة فبدأت روحي ترتعد ارتعادا،وحين دخلنا وجدنا اقوام من قبلي و ارواحا مثلي بعضها حديث العهد و اخرون قدماء يقفون ناظرين لمن هذا لنعش و من الجديد ؟ و انا انظر اليهم اسلم عليهم و على من اجده في الطريق نحو قبري ،لعلي انسى هول ما سالاقي ،لقد نسيت دمع امي و نسيت حزن الاب و هلع الاخوة لقد نسيت الاصحاب و نسيت الالام و نسيت كل شيئ اساتذتي و كراريسي نسيت ايامي و فكرت في اهوال يومي ذاك ، و بينما ان اقف انظر للوافدين الى المقبرة اذ بروحي بدات تنجذب و تنجذب و انا احاول التمسك في اغصان الاشجار او في لوح القبور، لكني انجذب بكل بساطة، فجاة وجدتني واقفا على رأس قبر محفور ،و

جسدي ملفوف في كفن ابيض، و مجموعة من عائلتي يضعونني في القبر بتاني وبدأ أبي و عمي يردمون ذاك القبر بالتراب و ما ان غمر حتى سمعت حديث الامام يعظ و يوقظ و يحي قلوب الناس و يذكرهم بالموت و الحساب و العقاب و المغفرة و الثواب فزادت، حسرتي على ايام افنيتها في معصية الله و خانتني نفسي ان تتوب. فجاة عم الصمت فعلمت انهم انتهوا من الوعظ و بعدها بدات الارجل في التحرك و غادروني و تركوني وحيدا في ظلمة القبر لا والد و لا ولد و لا حبيبة و ام و لا احد الا جسد و روح تطوف حوله، و بكيت على نفسي و لمتها، و بينما انا في غمرة و حسرة حتى احسست بيد تقلبني و نهضت و دمع العينين يسيل قبلت يدي امي و راسها و فرحت فرحا شديدا لاني لمستها و قمت اصلي باذن الله.

لكن يا ترى كيف هي تلك الاحوال و هل فكرنا في ما سنؤول اليه ، تكلمت و لم انصف حقا و لكن اظن اني اردت التفكير في الموت فالحزن و الاسى لن يبقى طول الامد لكن البعث و الحساب امران من عند الله غيبيان يعلمهما وحده و العقاب و الجزاء بيده و ليس القبر الا منزلة من منازل الاخرة لا نتسابق اليه و لكن الموت باجله من يحتم علينا مغادرة الحياة نسال الله حسن الخاتمة و الجنة و ما قرب اليها من قول و عمل بلا حساب و لا سابق عذاب.

مـــــها

في ارض فلسطين و بالتحديد جنين تعيش مها رفقة عائلتها العم محسن و ام حسن و حسن، عائلة من عائلات فلسطين التي تعانق الحياة و تزهد في البقاء، عائلة من عائلات التي تبر بالارض المقدسة و تسقيها من دمها،
تتبادل مها مع امها الضحكات و هي تقص عليها ما جرى لها في الثانوية، و الام تبدي انها مهتمة و قلبها على ابنها يحترق انها تخاف عليه من ذاك العدو، و هي تقطع الخبز بالسكين تنظر تارة الى شفاه مها و هي تتحدث و تفكر" هل يا ترى سيكون لي حظ من رؤيتي احفاد ابنتي ام انها ستراني في الكفن قبل هذا "و مها الفتاة الشابة تواصل الحديث انه عنفوان الشباب، في كل الوطن العربي ترى الشباب نضرا اخضر، لكنه ما يفتئ أن ييبس تحت حرارة الضغط و الحصر في كل المجالات، ففي فلسطين ينحصر شباب العرب بين عقلية العرب و حرب الصهاينة، لكن مها لم تكن كبقية الشباب لديها هدف سطرته لحياتها و لحقها كفلسطينية، تقول مها انها تريد ان تدرس حتى تظن انها اكتفت وبعدها تعلم الناس عن الحق الفلسطيني.

في هذه المرحلة كانت مها تنتظر ان تعلق النتائج في حرم الثانوية لتنتقل الى الجامعة، انها فتاة شغوفة كلها أمل وتفاؤل، مها تلك الفتاة الجميلة، عيون عسلية، هي ليست بالسمراءو لا البيضاء لكنها تحمل في وجهها تربة الخليل و حماس نابلس و صمود جنين، طويلة كطول هامة فلسطين، فتاة من عرين الاسود، وقد تقاربت الايام و تسارعت الساعات، ولم يبق بين النتائج و مها الا غمضات جفون.

من ادب مها ان كل جيرانها يعرفون ذاك الخلق فيها، حياؤها وحشمتها، ليست هكذا فقط مع من في الشارع لكن مع اهلها وبيتها، الساعة الثامنةو النصف مساء و الغد هو يوم رد النتائج، ولا تزال مها تعد العشاء مع امها، و الام تحاول جاهدة ان تريح ابنتها، لكن مها ليست تلك الفتاة التي تعودت على الجلوس في الكرسي و التحليق على القنوات الفضائية و لم تتعود ان تترك امها مشغولة بينما تلاعب ازرار الهاتف، و لم تكن لتجعل من الانترنت همها الوحيد و دراستها سبيل نجاحها و مُسَطر هدفها.

و اعدت تلك الام الفلسطينية طاولتها، وزخرفتها بانواع المأكولات، وسلمت زيجاتها الى مها حتى تضع لمستها فيها، و باد على وجهها ذاك الخوف من نتيجة الغد، و ام حسن تعبد الطريق و تسد الثغور حتى تنسى مها ما ينتظرها، دخل العم محسن متهلل الوجه سعيدا فسلم على اهل الدار، فعانقته مها بكل حنان و حب، فمن قال ان البنت بنت امها فلا اساس له في ذلك فانما البنت لابيها، و اجلسته بجانبها، حتى دخل عليهم حسن مسلما، وهو يرتب صحون الطعام بعينيه، و جلسوا كلهم

الى الطاولة، أمسك حسن اداة تحكم التلفاز وبدأ يتجول بين القنوات، اخبار و حوادث افلام ووثائق، حتى اوقفه العم محسن على قناة ما " ... فيما قتل فلسطينيان برصاص جنود الاحتلال شرقي رام الله.." هكذا رنت العبارة في اذانهم، كيف ان حياة الفلسطيني رخيصة في عيون هؤلاء الوحوش، كيف يمكن ان يكون ذلك الفلسطيني الاعزل ارهابيا بينما يرمى بالرصاص، شعر العم محسن بالغضب وطلب من حسن ان يغير القناة، فتسمرت مها في مكانها تنظر بعينيها الى والديها و اخيها، وكأن نظراتها تعانق احلامهم بينما احلامها تائهة بين التحقق و الاندثار، و لكنها مؤمنة بان كل ما سيحدث لها لديه معنى وجيه في حياتها .....، و بينما هذه العائلة في هدوئها إذ تسمع قرع الملاعق بالصحون وصوت التلفاز الخافت، قالت مها بصوت ملؤه الحياء والوقار: "ابي، أمي و أخي أريد أن أخبركم شيئا"، و كأنما أرادت اعلان شيئ ساخن، نظرات العائلة الى مها تفسر خوفهم مما ستقوله، هل ستخبرهم انها تتوقف عن الدراسة؟ أم انها تريد مالا لاكمال دراستها؟ ماذا يجول في خاطرها؟ فابتسم حسن و حثها على التكلم، فقالت: "اريد الدراسة في جامعة القدس". حمل حسن ملعقته و بدأ في الأكل و لم يجبها، و بدت نظرات الأم الخائفة الى مها و تمتمت بشفتيها، و قال الاب:" القدس ... اليس كثيرا يا استاذة". حينها ترك حسن الملعقة قائلا:" خلصنا الكلام عن القدس لدينا هنا في جنين الجامعة الامريكية العربية سجلي فيها و اختصاصك متوفر العلوم و الادب !". نهض ابو حسن و هدا الوضع وبين للاخوان ان كل شيئ سيأتي في وقته و اخبر مها ان تعد نفسها للجامعة اذا فازت و ان لا تيأس فالخسارة لا تعني الهلاك.

صباح الغد، يوم النتائج، كل ذلك الخوف و الشك بدأ يثور و يظهر على محيّا مها، و ام حسن ترشها بالماء و تدعو لها، مر بها ابوها و حثها على الا تستسلم و ان الهواجس من الشيطان و يجب ان تتحرر مما يشوب راحتها، و مر اخوها فبرر موقفه من الامس و عانقها ثم خرج الى العمل، و بانت الطريق لمها، نحو الثانوية تنظر نتائجها.

صباح زكي، نعيم ندي، اشجار محفوفة على الطريق، تلك الاوراق الرطبة تلاعب الاغصان العذبة، ترسم على وجه مها ابتسامه، نسيم يهب تارة و يخفت اخرى يمر على مهيّاها فتحييه تحية فلسطينة من جنين، الى ارجاء الوطن الجريح، الجارة ام سعد في الطريق تسلم على مها و تدعو لها، و ليس ببعيد تمر الى دكان العم عزرا تشتري علكة، على وجهها تلك النضرة و في عينيها تلك النظرة انها مها الفتاة الفلسطينية، جريحة لجرح لا يبرأ حتى يختفي الاحتلال، و قوية لاجل الاقصى لاجل القدس و لاجل كل شبر من الارض المطهرة، ما زالت الطريق لم تنتهي و الثانوية في مرمى البصر، تتثاقل رجلاها و تخشى من نتيجة ستلقاها، مها تكاد تصرع من

الجزع، ولكن الامل هو ما يصنع العظماء، والفشل ما هو الا نجاح لم يفلح، في طريقها تفكر، ادرس الادب و اصبح صحافية و انشر حقيقة الوضع الفلسطيني، و أؤلف الكتب و الاشعار لاجلي بلدي يصبح حرا كالاطيار، تفكير راق جدا ايتها الفتاة ان تدرسي لاجل الوطن، حرقتك تلك تتحول الى رماد ولكن اذا دفعتها بالامل ستصبح نبتة خضراء، الجنة تبتسم في وجهك و انت تبادلينها الابتسامة، وصلت مها امام الثانوية حشد و جمهور غفير نظرات متعبة و بكاء صراخ فرحة سرور، سجود وتكبير، تقترب تلك الفتاة المسكينة من سبورة سوداء كليل مظلم لا نور فيه، فترى تلك النظرة العارية من الاحاسيس تتحول الى دمع و فرحة ملأت الاجواء، نتيجة مشرفة لمها تعانق صديقاتها و تفرح وسط اخوانها، ابهرت الحي بثورتها، فجأة القمر يجلي ظلام الليل، و اصبحت سعيدة الحظ تلك الفتاة، يا سعد امك بك، يا سعد جنين و فلسطين يا سعد القدس، بخطى متسارعة، كغزالة صهباء، تشق الريح ببهائها، تغرد الطير لها في يوم لا يسر الطير، و تنحني الاشجار لها في طريق العودة، على مشارف المنزل، ماذا ستقول لامها فزت ام ربحت ؟ و كيف سيكون شعور ابيها؟ يا ترى هل سيسمح لها اخوها بالذهاب الى القدس؟ مسائل بالنسبة لها ستطرح، ومشاكل ستحل و بها تفرح، لكن على بعد النظر، ترى مها سيارات الاسعاف تتلاقف الموقف، دخان و نيران وجنود الاحتلال، يا نهار اسود من سوء المنظر، ماذا حل في الحي ماذا جرى؟ استوقفها جنود الاحتلال وطلبوا بطاقات التعريف و في لحظة ما نظرة نظرة فشاهدت اباها العم محسن مقيدا ال السيارة، فصرخت صراخا و ضربت الجنود و انطلقت الى ابيها، في لحظة هستيرية و جنون الفقدان تلقي بما لديها على اولئك الاوغاد، " ماذا تريدون سرقتم الوطن ، الحق ، اتركوا ابي" و الاب ينظر اليها من شباك السيارة و كأنه يقول: واصلي المسيرة يا بنية فانا الان لا صوت لي، و فجأة تخرج أم حسن من الباب و تنادي يا حثالة يا كلاب موتوا بندقية قديمة كنز الاجداد، تخرج بها تلك الام و تطلق النار، رباه ان الفلسطينيات شوكتهن اقوى من بقية رجال العالم فما بالكم برجال فلسطين، صدقت حين قلت يا ابا عمار " يا جبل ما يهزك ريح" انهم الجبال، و ليس الصهاينة ريحا ابدا، ضربت بالرصاص فسقط احد الاشرار لينهال عليها بقية الجرذان طلقا بالرصاص حتى اردوها شهيدة امام عيني مها، وهي واقفة لا تحرك ساكنا، هذا هو الامر لن تبق الفرحة، يسرقها الاحتلال كل مرة تنج فتفقد احدا، تتكلم فتفقد حريتك، حصلت مها على النجاح ففقدت امها و أُسر والدها، انتهى كل شيئ فجرى الجيران من هنا و هناك يحملون عبء مها، ولكن صك فاها، و بلعت لسانها، وجمعت كلماتها في جوفها، جفت الاقلام فلا كلام بعد هذا المآل، ياتيحسن جاريا و دمع العين يدمي قلبه يحضن الاخت المنكسرة، رأت موت امها و اسر ابيها بعينيها، و هي الفتاة بلى ستنكسر، وبنظرة حزن و الاسى يغمرهان تقول لاخيها:" لقد نجحت

بامتياز يا حسن" فينفجر بكاء و هو يبارك لاخته و يقول:" سعيد لاجلك يا اختي ما اسعد هذا اليوم". و تقوم مها القوية و تامر اخاها بان يقبر امها، و تنظر اليه متسائلة سادرس في القدس هل توافق؟ و بكل حسرة يوافق و يآزر، كل يوم شهيد في فلسطين شعب اخوه شهيد و ابوه شهيد وجده و عمه و اخته و خالته و امه و جارته و جاره و ابنه و حفيده و بنته شهداء شعب شهيد يمشي على الارض، رحمك الله يا عثمان بن عفان شهيد يمشي على الارض، رحمك الله كادت تصير سنة من بعدك فارضنا في فلسطين تحتضر، مها القوية نسيت الالم و حزمت امرها من اول لحظة لها، لا يجب على الحزن و الاسى ان يهزها، هكذا احببنا فلسطين ليس لانهم ارخصوا الحياة فداء لله و الوطن فقط و انما كذلك لانهم شهداء علينا بانهم صامدون و على العهد باقون، اما نحن فمنذ زمن بعيد نتوعد الصهاينة و نتعهد للفسطينيين بان صلاح الدين سياتي يوما ما، و لكن صلاح الدين مات و قد مات من هو خير منه و لم يعد، و انما يجب ان نكون نحن عمر و صلاح الدين و نكون نحن فلسطين. انتهت الحكاية و لم تنتهي الالام، يجب ان نحس بالم الامة حتى يحيى الضمير، ...

انتهى .

# الفهرس